

1391

S/A

كِتَابُ الْمِكْفَاةِ

وَحُسْنُ الْعُقُوبَةِ

حَقَّقَهُ ، وَشَرَحَهُ ، وَصَحَّحَهُ

مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ

کتاب المکافاة وحسن العتبی

حقیقہ ، و شرحہ ، و صححہ

محمود محمد شاہ

[الطبعة الأولى]

رمضان ١٣٥٩

أكتوبر ١٩٤٠

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بإشباع محمد على بمصر
إصاحبها : مصطفى محمد

[جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

[أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، صاحب كتاب المكافأة وحسن العقبى ، لم نجد من ترجمه إلا ياقوت الحموى فى معجم الأديباء ج ٢ ص ١٥٧ - ١٦٠ . وهذه الترجمة - على عادة شيوخنا رضوان الله عليهم - ناقصة لم تستوعب شيئاً مما يحقق للترجم معنى الترجمة . وذكر ياقوت فى هذه الترجمة أباه : « يوسف بن إبراهيم » ، فذكر بعض خبره ، ثم ذكر أحمد بن يوسف ، وعدّد كتبه ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يذكر مولده . ونقل من هذا الكتاب القصتين المذكورتين برقم ١٣ ورقم ٢٦]

كانت أم « يوسف بن إبراهيم » ظئراً ^(١) لإبراهيم بن المهديّ ، أخى هرون الرشيد ، [ولد إبراهيم بن المهديّ سنة ١٦٢] ، وكانت مجددة العهد بيت الخلافة . وفى سنة ١٨٠ ولد للرشيد : أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد ، وهو المعتصم أمير المؤمنين ، وفى هذه السنة ولدت أم يوسف ، ولدها يوسف ، فأرضعته مع المعتصم . لهذا كان يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية ^(٢) ، لمكان أمه من رعاية إبراهيم بن المهديّ وحضائته وإرضاعه ،

(١) الداية والظئر واحد : وهى التى ترضع ولد غيرها وتحضنه

وكان يعرف برضيع المعتصم^(١)، لمكان رضاعه مع المعتصم وهو سليله
والناشي معه

ونحن نرجح أن يوسف بن إبراهيم نسا مع أبناء هرون الرشيد حتى
مات الرشيد سنة ١٩٣. فتعلق بأخلاق بيت الخلافة حتى قال ياقوت عنه :
« كانت له سريرة تامة وعصية مشهورة » ، ويعنى بالعصية انتصاره لأهل
بيت الخلافة وتحقيقه بحبهم وخدمتهم . والذي نراه أنه ولع بالحساب والطب
والاخبار والكتابة ، فأخذ عن حبرئيل بن جحشوش طبيب الرشيد ، وعن
إسماعيل بن أبي سهل بن زبخت ، وأيوب بن الحكم ، وعن أحمد بن رشيد
الكاتب ، وحبب إليهم بن المهدي نفسه

ثم لم يزل مع إبراهيم بن المهدي حتى صار حاسبه القائم بأمر ضياعه ،
وكانه الذي نزل رسائله وصحبه وأسرره . وقد ذكر ولده أحمد بن يوسف
، ص ١٣١ ، أنه أنث كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . ولكن ياقوت الحموي
تخطأ في ترجمته ، فذكر أن يرسف ألف كتاباً في أخبار المتطيين ، واقتصر
على ذلك ، وأما في كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي ، و« كتاب الطبخ »
في عدة مؤلفات يرسف ، فهو من كتب راح المكافاة . وهذا وهم فاسد ،
فإن قص كلام يرسف في المكافاة ، ص ١٣٦ ، يدل دلالة واضحة
على أن مؤلف كتاب السكيات هو يرسف بن إبراهيم . وإنما رواهما

(١) انظر منه ، كتاب ص ١٣ ، وأخطأ ياقوت قال : إنه رضيع إبراهيم بن المهدي

عنه أحمد بن يوسف ، وروى عنه أخبار إبراهيم بن المهدي أيضا: رضوان
ابن أحمد جالبنوس الصيدلاني ، ورواه عن رضوان أبو الفرج الأصفهاني ،
وذكر بعض روايته عنه في كتابه «الآغاني» ،

ومّا تراح إليه النفس أن يوسف بن إبراهيم هرب إلى مصر أو الشام ،
في المدة التي استتر فيها إبراهيم بن المهدي بعد خلافته ومحاربتة المأمون ، من
سنة ٢٠٣ إلى سنة ٢١٠ ، إذ ظفر به المأمون فأخذه وعفا عنه واستبقا ، فلما
رجع إبراهيم إلى بغداد ، وعاش بها في أمان المأمون - رجع يوسف -
وبقي معه إلى أن مات سنة ٢٢٤

وتزوج يوسف بن إبراهيم ببغداد من بنت ميمونة مولاة حمودة أم
محمد بنت الرشيد ^(١) ، وهذه الزوجة ليست أم «أحمد بن يوسف» بغير شك .
وقد ذكر أحمد بن يوسف في المكافاة «ص ٥٦» أخا له لم يسمه ، فلا ندرى
أهو شقيقه ، أم أخوه أكبر منه من بنت ميمونة هذه ؟

وقد روى يوسف بن إبراهيم ^(٢) أنه نزل دمشق سنة ٢٢٥ على عيسى بن
حكم الدمشقي الطيب ، فظاهروا هذا أنه فارق بغداد بعد وفاة إبراهيم بن المهدي ،
ولكنه رجع إليها وبقي بها إلى ما بعد سنة ٢٢٧ ، وهي السنة التي مات فيها المعتصم .
ويدل على ذلك خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه ^(٣) . يستبين منه أن

(١) ذكر ذلك في المكافاة ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) عيون الأنباء : ج ١ ص ١٢١

(٣) ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٧

يوسف بن إبراهيم كان ببغداد إلى وفاة المعتصم

قالراجح إذن أنه رحل من بغداد إلى مصر بعد ذلك ، فقد مات مولاه إبراهيم ، ومات رضيعه المعتصم ، واضطربت الدولة اضطراباً شديداً . وكان هو قد اعتقد من المال ما يسوّفه النعمة في رغد العيش ، فنزل مصر ، وعمل في تقبّل الصّياح ، وحسن حاله وظاهره ، كما روى ذلك لولده ص ١٣٦ . ويدلّ ما رواه أحمد بن يوسف في المكافأة ص ١٣٦ ، على أن يوسف بن إبراهيم كان من كتاب مصر إلى سنة ٢٥٠ ، فإن حساب ضياعه كان في المستورات القديمة التي طلبها أبو العباس بن بسطام ليعتبر منها عبر الصّياح ، فلما جاء ابن طولون عزله عن ذلك لما يعرف من أسبابه بالحضرة العباسية

ولم يزل يوسف بن إبراهيم بمصر إلى أن جاء أحمد بن طولون إليها سنة ٢٥٤ . فلما استقر أحمد بن طولون بها جمل يحكم أمر دولته . ويأخذ بأفواء الطرق على كلّ من له سبب إلى الحضرة العباسية ^(١) . فن ذلك ماجرى بينه وبين ابن مدبر ، ثم ماكان من حبسه يوسف بن إبراهيم في داره . وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه . [كما قال مؤلف المكافأة ص ٢٨٠] ثم أطلقه بعد ذلك

وقد ذكر ياقوت أن يوسف بن إبراهيم كانت له عصية مشهورة ، وهي عصيته لبنت الخلافة ، فلما توفى بعث أحمد بن طولون خذّه ، فهجموا الدار ،

« وطالبوا بكتبه : مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من ببغداد »^(١)، يعنى الخليفة
 فين أن وفاة يوسف بن إبراهيم كانت ما بين سنة ٢٥٥ وسنة ٢٦٠ ، وهو
 العهد الذى استقل فيه أحمد بن طولون بمصر واشتد فيه فى ضبط المملكة لنفسه
 وولده . وأولى الأقوال بالصواب أن تكون وفاته فى سنة ٢٦٠ أو بعدها بقليل ؛
 فقد روى صاحب المكافأة « مر ٢٩ » ، أن جماعة من مستورى مصر كانوا فى
 مجلس أحمد بن طولون حين قبض على يوسف ، وجاء فى كلامهم أنهم قالوا : « لنا
 ثلاثون سنة ما فكرنا فى ابتياع شيء مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا ياب غيره »
 يعنون « يوسف بن إبراهيم » . فإذا صح أنه قد دخل مصر بعد وفاة المعتصم سنة
 ٢٢٧ فلا شك أن القبض عليه كان حوالى سنة ٢٥٨ ، وتكون وفاته بعد ذلك
 بعام أو عامين على الأرجح



والراجع أيضاً عندنا أن يوسف بن إبراهيم تزوج بعد أن دخل مصر سنة
 ٢٣٠ ، وأن أحمد بن يوسف يوم وفاة والده كان كبيراً مدركاً لا يقل عمره عن
 العشرين ، اطر المكافأة مر ٥٦ ، فولده إذن فيما بين سنة ٢٣٥ وسنة ٢٤٥ ،
 وأقرب ذلك عندى أن يكون مولده فى سنة ٢٤٠ أر نحوها ، وعلى ذلك
 فأحمد بن يوسف حُرر مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً [مات أحمد سنة ٣٤٠]
 فأحمد بن يوسف إذن مصرى المولد مصرى المنشأ مصرى المربى ،

تدلّ على ذلك روايته في كتابه هذا ، فإنه لم يرو عن غيره من المصريين ، ولم يحدث إلّا عن أخبارهم ، أما أخباره الأخرى عن بغداد فهي مما رواه عن أبيه يوسف

وقد نشأ أحد في كنف أبيه ، فأخذ عنه ولعه بالكتابة والحساب والهيئة ، فقد قال ياقوت أنه « أحد وجوه الكتاب الفصحاء ، والحساب والمنجمين : بحسبى أو قليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر ، قد خرج من شعره أجزاء »

وقد ذكر هو من شعره في كتابه « ص ٢٢ » وفي « ٥٢ » ، وزعم أنه كتب لأبي الفياض سوار بن أبي شراة الشاعر جزءاً منه ، فدخل به بغداد ، وعرضه على جماعة الأحرار ، واشتهر أمره ، حتى كان من ذلك ما قصه هناك من سؤال محمد بن سليمان عنه حين دخل مصر

والظاهر أن أحمد بن يوسف لم يَل شيئاً من أمر الكتابة في مصر في عهد أحمد بن طولون ، لما كان يظن بأبيه من مبالاة الحضرة الباسية ، فانصرف إلى عنياء ، وضياع أبيه يقوم في أمره . وكانت ضياعهم في جهة أهلنا والبهنسا ربيهم في حيدهم كما ذكر في « ٢١٠٢ » ، وعمل كعمل أبيه في تقبل الضياع . وفرغ له آية في الكتابة

فأنت كتاب السكابة ، وكتاب حسن العقبى [هذا المطبوع] ، ثم كتب سيرة أحمد بن طوون . وكتاب سيرة ابنه أبي الجيش خوارويه بن أحمد بن

طولون ، وسيرة هارون بن أبي الجيش ، وأخبار غلمان بني طولون ، وكتاب
 مختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى ، وكتاب الثمرة ، وكتاب أخبار
 المنجمين . وقد ذكر ياقوت في عداد كتبه : كتاب أخبار الأطباء ، وكتاب
 الطيخ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . وهذه الثلاثة هي كتب أبيه بغير
 شك كما مضى ، وأنا أرتجح أن كتاب أخبار المنجمين هو من عمل أبيه أيضاً ،
 ورواه هو عنه وزاد عليه

رأيت قبل أن يوسف بن إبراهيم وولده ، كانوا على عهد أحمد بن طولون
 مظنة التهمة في مراسلة الحضرة العباسية ، ولذلك أخذوا أخذاً شديداً ،
 وأخيفوا وراعهم ما يليق أنصار الخلافة العباسية من بطش ابن طولون .
 واستمروا على ذلك فيما زجح إلى وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠

وتولى مصر بعده أولاده : خمارويه بن أحمد بن طولون إلى سنة ٢٨٢ ، ثم
 جيش بن خمارويه إلى سنة ٢٨٣ ، ثم هارون بن خمارويه إلى سنة ٢٩٢ ، ثم
 شيبان بن أحمد بن طولون وفي عهده انقضت دولة بني طولون . والظاهر أن
 أحمد بن يوسف كان مجاملاً لهؤلاء الولاة ، فلم يلقَ مِنْهُمْ كيداً بعد الذي لقيه
 هو وأبوه في عهد أحمد بن طولون ، ولذلك عُدَّ من أعوان الدولة الطولونية ،
 وكذلك توهم هو نفسه

فقد ذكر في « س ٥٠ » قال : « لما دخل محمد بن سليمان مصر ، نزل في

ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ، فاستصفي ماله بالسوط وعظيم الإحاطة ، فراعى أمره ، وخِضت أن يلحقى عسفه ، ، فلولا ما كان من اشتاله على المداينة لولاة الطولونية لما عاف هذا الخوف ، ولما استتر ونخى من أصحاب دميانة البحرى ^(١) الذى وكله محمد بن سليمان باستباحة مصر ، فنهبا أصحابه وأخذوا الأموال ، واستباحوا الأعراض ، [قال صاحب النجوم الزاهرة] : « ثم تعدّوا إلى أرباب الدولة وأخرجوهم من دورهم وسكنوها كرها ، وهرب غالب أهل مصر منها ، وفعلوا فى المصريين ما لا يفعلونه فى الكفرة ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة مصرّين على هذه الأفعال القبيحة »

كان ذلك فى سنة ٢٩٢ ، ولكن أحمد بن يوسف يقص علينا فى « ص ٥٠ - ٥٢ » كيف انتهى أمره مع محمد بن سليمان ، وكيف أجاره وحفظه ورعاه ، وكان أفضل عون له فى أموره « ص ٥٢ » ، وأنه ملحقه شئ يكرهه حتى انصرف عن البلد « ص ٥١ »

وكان محمد بن سليمان هذا كاتباً ، وكان لا يسمّى باسمه ولا بكنيته ، وما كان يدعى إلا بالاستاذ ، وقد كان أعظم ماعطفه على أحمد بن يوسف مارواه من شعره فاستحسنه ، حتى قال له : « والله لقد اشتقت الدخول إلى مصر من أجلك ! » « ص ٥٢ » . هذا ، على ما يروى من أن حكاه فى أهل مصر كان.

(١) انظر المكانة صفحة « ٢٤ و ٢٥ »

بضرب أعناقهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمزيق ظهورهم بالسياط ، وحملهم على جذوع النخل ، ونحو ذلك من أصناف النكال . وحتى إنه شرد رجال الدولة الطولونية ، ولم يبق بمصر منهم أحد يذكر ، وخلت الديار وعفت الآثار ، وزالت الدولة الطولونية على يديه ، وكانت إقامته بمصر أربعة أشهر إلى مستهل رجب سنة ٢٩٢

وعاش أحمد بن يوسف بعد انقضاء الدولة الطولونية في ظلّ الولاة على ترتيبهم إلى ولاية الإخشيد ، ثم أنوجور بن الإخشيد ، ومات في السنة السادسة من ولايته سنة ٣٤٠ . ولنا نعرف على التحقيق شيئاً عن حياته في ظلّ هذه الدول ، ونستثنى صلته بالوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب البغدادي . فإنه ألف له كتاب مختصر المنطق ، كما مضى ذكره . وكان على بن عيسى قدم من مكة إلى مصر ليكشفها في سنة ٣١٣ وبقى بها ثلاثة أشهر ، ثم خرج عنها إلى الرملة ، وعاد إلى بغداد . ولم نجد في كتابه هذا [المكافأة] ما يدل على شيء من حياته وتصرفه في أعماله في حكم الولاة من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٤٠ ، ولعلّه أقام واستقرّ وانقطع في بعض ضياعه ، وكان دخوله القسطنطين قليلاً

كان عصر الدولة الطولونية في مصر من أحسن عصورها في ذلك التاريخ ، ولذلك أفردّه أحمد بن يوسف بالتأليف كما ذكرنا قبل . وهذه الكتب التي كتبها في سيرة الدولة الطولونية ، هي التي خلدت ذكره ، ووسّمت بالكتابة ،

وجعلت قوله مشهوراً في تاريخ هذا العصر

وليس بين يدي الآن شيء مما كتبه في سيرة ابن طولون، وقد بقي منها جزء، فأراني غير مستطيع أن أكتب عن حقيقة أسلوب الرجل في التاريخ والرواية وتحرير القول . ولكن كتاب المكافأة أغنى بعض الغناء في البيان عن شيء من ذلك

فقد ساق أحمد بن يوسف كتابه هذا على مدرجة من القول في المكافأة على الحسن والقيص، وحسن العقبي في الصبر والتشدد ونفي الجزع عن النفس، وهو في أكثره يروي الخبر عن حدثه به أو يصوغ في عبارته حكاية ما لقيه أو شاهده أو استخرجه

وهو في بيانه قليل التكلف، قريب اللفظ، بعيد عن الغموض . وسهل له ذلك أنه بفطرته محدث بارع، أو كما قال ياقوت: «حسن المجالسة» . فكانت سياقة كلامه في كتابه أشبه بالحديث منها بالكتابة . وهو إذا عرض لغرض أبان عنه بوضوح وترتيب وتسويق، ثم هو في خلال ذلك جزل الرأي، تحكم الفكرة، قريب الغور

وسبب ذلك أن أحمد بن يوسف كان صاحب منطق، وحساب وهندسة، كما رأيت، ومن طبيعة التحقق بدراسة هذه العلوم أن تجعل الرأي جزالة وإحكاماً ليست أخيره من خدم النظر فيها والتمرس بها . وقد صدق الشافعي رضي الله عنه إذ يقول :

« من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه تَبَلَّ مقدارهُ ، ومن كتب الحديث قويتُ حجَّتُهُ ، ومن نَظَرَ في اللغة رَقَّ طبعه ، ومن نَظَرَ في الحساب جَزُلَ رأْيُهُ ، ومن لم يُصْنُ نفسه لم ينفعه علمه . » ولم يحل أحمد بن يوسف من أكثر ذلك

وقد اعتمد أحمد بن يوسف فيما يقصُّه أن يتَّبَعَ رأى الجاحظ في رواية بعض القول على وَجْهِهِ كما يجري في الحديث ، غير مستنكر أن يكون فيه اللحن والخطأ في اللغة ، مادَّلَ ذلك على حكاية لفظٍ يَحْتَلُّ حالُهُ إذا أزيل عن الوجه الذي نطق به

ومع ذلك ، ومع ما عرف عنه من حُسْنِ المجالسة ، فإنه كان ركيناً ثابتاً قليلَ الحِظِّ من الفكاهة والسخرية والعبث ، فقد جرى في كتابه بعضُ ما لو أزيلَ قليلاً عن وجهه لكان غايةً في استدعاء الضحك واستخراج الهزأة ، ولكنه كان يعدِّلُ عن ذلك لقلة حظِّه من اللُّهُو ، وكأنَّ ذلك كان الأدب الذي أدَّبه به أبوه من آيين^(١) بيوت الخلفاء ، ثم ما لقي من الأحداث الكثيرة المفزعة التي كانت تنفي عنه أفراده ونشاطه للهُو ، ثم لما لعله كان فيه من الحرص الذي هو شيمة أصحاب التقبل بالضياع والأموال وما شاكلها ، وما لازمه مع ذلك من الخوف من أول حياته ، كما رأيت من خبره يوم وفاة أبيه وما تبع ذلك ، ثم طبيعة النفس وانصرافها إلى الفِكر في علم الحساب والنظر في الهيئة

(١) الآيين : هو قريب مما نسميه الآن « الإتيكيت »

وقد استعمل أحمد بن يوسف في كتابه هذا كثيراً من الألفاظ المصرية التي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا ، وعرض بعض العادات القديمة التي لا تزال تنحدر إلينا من ذلك العصر ، ولكنه كان قليل الخفيل بالبيان عنها وكشفها ووصفها واستيعاب القول فيها . وذلك لأنه كان يرى إلى غرض بعينه ، فلم يسر في قصصه سيرة الجاحظ في الاستطراء والتوسع ، وتشقيق المعاني العارضة في وجوه كثيرة . وكان ما نعوّده من الضبط في الحساب ، هو الذي حمّله على الضبط في الحديث ، ولو فَعَلَ لكان في كتابه بعض التاريخ الاجتماعي الضائع للمصور العربية الزاهرة التي لا نعرف إلا بعض رسمها وأشتاتاً من صفاتها

وبعد ، فهذا غاية ما أعانَ عليه الوقت ، وهو ما هو ، من ترجمة أحمد بن يوسف ، فإن تكُن في العمر بقية ، نأت في ترجمته بما يعين الله عليه ، مع التحرير والضبط والتفصيل بعد الإجمال . وبالله التوفيق ، ومنا العجز والتقصير ؟

محمد محمود

مصر الجديدة :

١٢ رمضان سنة ١٣٥٩
١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٠

ليلة الاثنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني، قراءةً مني عليه ، قال :
أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب، قراءةً مني عليه ، قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّاكَ مُهِمَّكَ
إِنَّ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَحَنِّينَ مِنْ مِحْنَتِهِ ، عُذُوْلُهُ فِي سَعْيِهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ،
وَتَعَسُّبُهُ الصَّوَابَ فِي بُعْيَتِهِ . وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَا تَى
تُسْتَنْزِلُ بِهِ عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرُبُ مَعَهُ مَا اسْتَصْعَبَ مِنْهَا ، يَسْتَتِيرُهُ
حُسْنُ الرَّبِّيَّةِ ، [وَيَهْدِي إِلَيْهِ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ

وَقَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَزِيدُ مِنْ رَغْبَتِ إِلَيْهِ - فِيمَا تَحْدُوهُ عَلَى بَرِّكَ ،
وَتَحْتَهُ لِمَا أَغْفَلَ مِنْ أَمْرِكَ - عَلَى نَصِّ مَكَارِمَ مِنْ سَلَفٍ ^(١) . وَتَرَى
أَنَّهُ يَهْشُ إِلَى مُسَاجَلَتِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ
لِلرَّغُوبِ إِلَيْهِ ، وَلَا تُوجِدُ فِي الرَّاعِبِ فَضِيلَةً تَحْتَهُ عَلَى شَفِيعِ
قَصْدِهِ ^(٢) . وَلَوْ عَدَلْتَ عَنْ مَكَارِمَ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ، إِلَى حُسْنِ مُكَافَأَةٍ
مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، لَكَانَتْ لَكَ ذِرَائِعُ يَمْتُ ^(٣) بِهَا الرَّاعِبُ ، تُوجِدُ

(١) نص الشيء ، ينصه : رفعه وأظهره

(٢) شفيع قصده : هو المكافأة والشكر

(٣) امت إليه ، يمت : توسل إليه

المرغوبَ إليه سبيلاً إلى الإِنعام ، وَتَفْسَحَ أَمَلَهُ فِي مُوَائِرَةِ
الإِحسان^(١)

وَلَمْ يُؤْتَ الْجُودُ مِنْ مَأْتَى هُوَ أَغْمَضُ مِنْ مُغَادِرَةِ حَسَنِ
المِكَافَاةِ . وَلَوْ أَنْعَمْتَ النَّظَرَ فِيهَا : لَوَجَدْتَهَا أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي
مَنْعِ الْفَاصِدِ ، وَحِرَةِ الطَّالِبِ . وَلَوْ كَانَتْ تُوجَدُ مَعَ كُلِّ فِعْلٍ
أَسْتَحَقُّهَا ، لَأَثَرَتِ النَّاسُ قَاصِدِيهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَجَرَوْا عَلَى السَّنَنِ
الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ

[وَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ] فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَخْبَاراً - فِي الْمِكَافَاةِ عَلَى
الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، مُنْعِمٌ^(٢) الْخَاطِرَ ، وَتَقَرُّبٌ بُغْيَةِ الرَّاعِبِ -
عَمَّا سَمِعْنَاهُ عَنْ تَقَدُّمِنَا ، وَشَاهَدْنَاهُ بِقُصْرِنَا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ



(١) المراترة : المتابعة

(٢) فِي الْأَصْلِ : د نَعَم ،

١ - المكافأة على الحسن

١ - حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد ، خالد القسري
الأموي ، عن أبيه خالد ، قال : أخبرني محارب بن سَلَمَةَ وديوانياته
كاتب خالد القسري :

« أَنَّ دِيَوَانِيَانِ خَالِدٍ ^(١) أَخْرَجَ مِنْ دِيَوَانِهِ وَثِيقَةً عَلَى بَعْضِ
الْمُتَضَمِّنِينَ ^(٢) فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ بِرَّ تَعَجُّلِهِ مِنْهُ . فَدَعَا بِهِ خَالِدٌ وَأَمَرَ بِقَطْعِ
يَدَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : « أَتَسْتَبْقِي ، أَمْ صَلَحَ اللَّهُ الْإِمِيرَاءُ » ، فَقَالَ :
« وَمَا يَكُونُ مِنْ مِثَالِكَ ؟ » ، فَقَالَ لَهُ : « إِنْ لَمْ يُقَدَّرْ فِي الزَّمَانِ رِفْعَتِي إِلَى
مَنْزِلَتِكَ ، فَلَا تُؤْمِنُهُ عَلَى حَظِّكَ إِلَى مَنْزِلَتِي ، فَيَسْكُونُ مِنِّْي
مَا تَحْمَدُهُ » ، فَقَالَ خَالِدٌ : « أَطْلِقُوهُ فَبِهِ عَظِيمٌ » .

فَلَمْ يَمُضْ حَوْلٌ حَتَّى وَرَدَ الْعِرَاقَ يَوْسُفُ بْنُ عُثْمَرَ مَتَوَلِّياً لِعَمَلِهِ
فَجَبَسَ فِي حُجْرَةٍ مِنْ دِيَوَانِهِ ، وَوَكَّلَ بِيَابِ الْحُجْرَةِ جَمَاعَةً . فَتَدَسَّسَ
الدِّيَوَانِيَانُ حَتَّى دَخَلَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَتَأَلَّفَ لِلْجَمَاعَةِ حَتَّى رَأَسَهَا
بِالْخُبْرَةِ وَحُسْنِ الْمَدَاخِلَةِ . وَتَحَرَّمَ ^(٣) خَالِدٌ طَعَامَ يَوْسُفَ بْنِ عُمَرَ
- خَوْفاً مِنْ أَنْ يَكُونَ مَسْمُوماً - فَطَوَى ^(٤)

(١) الديوانيان : صاحب الديوان وحافظه

(٢) المتضمن : الكفيل الذي يتحمل بأموال الضياع وخراجها وأدائها
ليت المال

(٣) تحرم الطعام : أمسك عنه فلم يقربه

(٤) طوى : تعمد أن لا يأكل ولا يشرب

وتأمل من ذلك الديوانيانُ، لجعل في مَنديلٍ نظيف ما يَكْفُ
جَوْعَتَهُ من طعامٍ قد تَأَنَّقَ فيه، ودَخَلَ إليه كالمَتَجَسِّسِ عن حاله،
فقال له: «أنا الديوانيانُ الذي عَفَوْتُ عنه، وهذا طعامٌ تَأَمَّنُ فيه
ما تخافُه من غِرَّةٍ»^(١). فأقام أياماً يأتيه من طرائف الاطعمة
والفواكه ما يَنسَى به وَحْشَتَهُ، وَيَكْفُ فاقَتَهُ، ثم دخل إليه فقال:
«ليس هذا الذي أفضله مقدار ما يقتضيه إحسانكُ إليَّ؛ وقد
استأجرت الدَّارَ التي في هذه الحَجَرَةِ»^(٢)، وأحضرتُ قوماً أُنقِ بهم
من حُذَّاقِ النِّقَّابِينَ، حتى نَقَبْتُ سَرَباً إلى موضعك^(٣)، ولم يبق إلا
أن تَرَكُضَ بعض بلاط هذا المجلس رُكْنَةً تُنْفِضُ إلى السَّرَبِ^(٤).
وقد أعددتُ في الدَّارِ نَجِيَّينَ^(٥) أحدهما لك والآخر لي،

فلما صَلَّى الديوانيانُ العصرَ أَغْلَقَ البابَ، ومَضَى إلى الموضع
المُكْتَرَى^(٦)، وركضَ خالداً الموضعَ وخرج من السَّرَبِ، وركبا
نَجِيَّيَهما وَحْشاً المَسِيرَ. فما فُطِنَ بِخَالِدٍ إِلَّا في غَدِ ذلك اليوم، فطلبته
الحِيلُ والنُّجُبُ^(٧) ففَاتَمَّا. ولم يزلْ يُوضَعُ^(٧) في البلاد حتى لحق

(١) الغزوة . الخديعة . وفي الاصل : « في غرة »

(٢) الحجرة : الناحية

(٣) السرب : الطريق الخفي، السرداب

(٤) ركض الشيء برجله : ضربه

(٥) النجيب : الخفيف السريع من الإبل، واجمع نجب

(٦) أكرت الموضع : استأجره

(٧) أوضع في الأرض : أسرع

سَلَمَةُ بن عبد الملك ، فَشَفَعَ لَهُ إلى هشام وَرَدَّهُ إلى عمله

٢ — وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بن ثُلُوبٍ ، قَالَ :

ابن مرزوق
ومتضمن

« كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بن خَالِدِ الصَّرِيفِيِّ — وَهُوَ يَتَوَلَّى الْخِرَاجَ بِمِصْرَ ،
وَوُجُوهَهَا عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَكْبَّ عَلَى حَاصِلِ مَا اسْتُخْرِجَ فِي أَمْسِهِ ، وَهُوَ
يَقَابِلُ بِهِ تَبَّتِ الْمَصَادِرَةُ ^(١) — ، فَقَالَ لِصَاحِبِ حِمَالَتِهِ ^(٢) : « مَا أَرَى
أَسْمَ فُلَانٍ الْمُتَضَمِّنِ فِي هَذَا الْحَاصِلِ ، وَقَدْ صَادَرَنَا بِالْأَمْسِ عَلَى
خَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ ؟ » قَالَ : « مَا صَحَّ لَهُ شَيْءٌ ! » قَالَ : « أَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ
يَسْجَبُهُ صَاحِبُهَا حَتَّى يَحْمِلَهُ عَلَى خُطَّةِ الْمَطَالِبَةِ ^(٣) » ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ
الْمُتَضَمِّنِينَ يُعْرِفُ بِمَا شَاءَ اللَّهُ بن مرزوق : « الْحَمْسُ الْمِائَةُ — أَيْدِكَ
اللَّهُ — تَصَحَّ لِهَذَا الرَّجُلِ فِي هَذِهِ الشَّيْءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنْ أَغْنَى عَمَّا قَدْ
أَمَرْتَ بِهِ فِيهِ » ، فَقَالَ : « هِيَ طَلَبُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « نَعَمْ ! » ، فَتَقَدَّمَ إِلَى ^(٤)
صَاحِبِ الْحِمَالَةِ أَلَّا يَعْزِضَ لَهُ . فَالْتَفَتَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ :
« تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ » ، فَقُلْتُ : « نَعَمْ ! وَمِنْ الْعَجَبِ أَلَّا تَعْرِفَهُ ! » ،

(١) الثَّبَتُ : الْفَهْرَسُ أَوْ الدَّقَرُ (أَوْ مَا نَسَمِيهِ الْآنَ الْكَشْفُ)
صَادَرَتْ فُلَانًا مِنْ حِسَابِي عَلَى كَذَا ، وَفَارَقْتَهُ ، إِذَا قَطَعْتَ الْأَمْرَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَلَى أَمْرٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اتِّفَاقًا

(٢) صَاحِبُ الْحِمَالَةِ : مِنْ أَعْمَالِ بَيْتِ الْمَالِ ، زَكَاتُهَا وَضَيْفَةُ التَّدَاثِمِ
بِحِسَابِ الْمُتَضَمِّنِينَ

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ كَثِيرَةٌ الْوُرُودِ فِي كُتُبِ هَذَا الْعَصْرِ ، وَيُرَادُ بِهَا
التَّعْذِيبُ لِلْمَطَالِبَةِ ، عَلَى طَرِيقِهِمْ فِي ذَلِكَ

(٤) تَقَدَّمَ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا : أَمْرُهُ بِهِ

فقال : « يا أخى أتر فى رجل يجرى تجرانا فى معاشنا بما لم أطق
والله احتماله ، وعندى ضعف ما طولب به ، وكانت صيانتُهُ أحب
إلىَّ مما حَوَيْتُهُ . فإذا لَقِيتَهُ فعَرِّفه أنى أورد المال عنه لئلا يُورد
المال مُضعفاً ،

وأنصرفتُ من مجلس أحمد بن خالد ، فلقيتُ الرجلَ فى
طريق ، وهو مجذود^(١) ، فسألته عن خبره وأخبرته الخبر ، فقال :
« يا أخى ! وما فى هذا من الفرج ؟ إنما اتفقتُ من عَمٍّ إلى رِقٍّ !
ومتى أقضى إلى هذا الرجل إحسانه إلىَّ ؟ والله لو دِدْتُ أن أُمَرَ
السلطان نَفَذَ فىَّ ، ولم أتحمل هذه العارفة منه^(٢) ! »

قال أحمد بن يوسف ، فقال لى هارون : « وحضرتُ [موت] ما شاء الله بن مرزوق بعد هذا بأربع سنين - فى الوقت الذى تُوفى -
فأتفق أن كان إلى جانبي رجلٌ قد ألقى بعض رِدائه على وجهه ، وهو
يَعِجُّ بالبكاء والشهيق^(٣) ، ثم كَشَفَ وجهه فكان الرجل الذى
أورد ما شاء الله عنه الخمس مائة الدينار . فقال : « مَنْ الوَصِيُّ من
جماعتكم ؟ » فقال له الوصى : « ها أنا ذا ! » ، فقال : « عندى لهذا الرجل
رحمة الله ألفا دينار وخمسة مائة دينار » ، فقلت له : « حدثت بينكما
مُعَامَلة بعدى ؟ » ، فقال : « لا والله ، ولكنها الخمس مائة الدينار ،
صرتُ بها إليه عند تَيْسرها فقال : « وما [أبغى بها] ؟ تكون عندك

(١) يريد أنه صاحب حظ وجد

(٢) العارفة : المعروف

(٣) عَجَّ يَعِجُّ : رفع صوته بالبكاء أو النداء

إلى أوانٍ حاجتي إليها . فسأله [الإذن] في شغلها . فقال : « هو مالك ، اعمل به ما شئت ، فلم تزل تنمي وتزيد حتى بلغت هذا المقدار . فقال هارون : « ووجدت ما خلفه ما شاء الله لبنات كن معه شيئاً نزرأ ، لجبرهن الله بذلك المال ،

ابن دعيم
وأعرابي

٣ - وحدثني أحمد بن دُعَيْم - وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون - بعد أن ترك الديوان ، وحسن انقطاعه إلى الله ، قال : « قلّدتني أحمد بن طولون الصّيد الأوسط . وخرج عليه سوار أبو عبد الرحمن العُمري ^(١) ، فكتب إلى يستخبرني عن حاله ، فأعلمته ضعف يده ، وانتشار أمره لقلة المال . وقبضت على رئيس من الأعراب اتهمته بمكائنه وأنهيت خبره إليه . فكتب إلى أحمد بن طولون : يا أمّري بجمّل الأعرابي ، [وجمع] ما قدرت عليه من النّجب ، والشّخوص إليه ؛ ليقف من مشافهتي على مالا يبلغه المكاتبه . فامتثلت أمره .

فاسيرت مرحلة حتى لحق بي وجوه تجار التّمل ، ومعهم شاب أعرابي ، وقالوا لي : « جئتك في أمر هذا الأعرابي المحمول ، فإن معنا من يبدّل في إطلاقه خمس مائة دينار ؛ قللت لهم : « قد أنهيت أمره إلى الأمير » : فقال الأعرابي الذي معهم : « فخذ

(١) في الأصل : « القرني » ، وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد ، من ولد عمر بن الخطاب

الخمسة مائة على أن تجعلني مكانه ؛ قلت : « أفعل ؟ » . فأحضرت
الاعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقالت له : « والله لقد كنت مغموماً
بك حتى سرتني خلاصك ا ؛ » ؛ قال : « بماذا تخلّصت ؟ » ؛ قلت : « بئذ لي
رجل خمس مائة دينارٍ على أن يكون بمكانك وأطلقك ا ؛ »

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتُه إياه . فلما رآه قال :
« أمض لشأنك » ، ثم التفت إلي فقال : « يحسنُ بشيخٍ مثل أن يترجّح
في المعروف ؟ هذا رجلٌ لقيته وقد أكتب عليه خيلٌ لتسلّبه ثيابه
وما كان معه ، فقرّفتها عنه حتى تخلّص ، فرأيتُ أن يُخلّصني بحصوله في
موضعٍ لا يخرج منه أخرى اللبالي ، و [هو] غرّم ثِقيل على مثله .
والله هذا بما لا آمله ولا أركنُ إليه » ، قلت له : « أنصرف في حفظ
الله فقد رضى الرجل » ، فقال : « والله لئن أمضيت هذا لألحقنك ،
ولا تُخبرنَّ الأمير بصليحك » ، فتوقفتُ ، وبكى الاعرابي فقال : « إذا
كان تحبُّس الأمير على ما أقصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل
في عارِفتك عندي ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت مِنِّي ما بذلته وأعظمَ
منه ؛ وأزلت هذه العارقة عن عُنتي ؛ فإن عاراً ونقيصةً على الكريم
أن يموتَ وعليه دينٌ من ديون المعروف » ؛ فقال له : « إذا رأيت
رجلاً أحاطت به خيلٌ تُريغ سَلْبَهُ ^(١) فذدّتها عنه ؛ قد كافأت عارقى ؛
أنصرف مُصاحباً ^(٢) » . فعرض عليهما من المال ؛ فقال : « ما بي إليه

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة^(١)، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلها ويبيكي؛ فأبكي جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العُمريِّ بما سره؛ وعرضت عليه النُجْب؛ فقال: «حسنة والله»؛ فقلت: «معي أيها الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا»، وحدثته الحديثَ. فأحضر الأعرابيَّ وخَلَعَ عليه وأثبتته في ديوانه، وأمرني بإفادِ رسولي معه في الأعرابيَّ الآخر، فلما وافى خلع عليه وأثبتته. فلم يزل في غاصته إلى وفاته

أبو مصلح
ومحبوس

٤- وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعي أمر المحبوس حتى يَمُضِيَ له حَوْلٌ^(١)، فإذا جازه لم يذكره. وكان يقولُ لي سرًّا: «إذا تبيَّنت من رجلِ براءة ساحة فسَهِّلْ عليه واستأمرني^(٢)؛ فإنِّي أَسْتَعْمِلُ التَّشَدُّدَ لِلضَّرُورَةِ إليه، قال موسى بن مصلح: «وكان في الحبس رجل قد زادَ على ستَتَيْنِ منقطعاً إلى الله برغيته؛ لا يسألنا شيئاً من أمره؛ وهو يُكَبِّ على الصلاة والتَّسْبِيح والتَضَرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً: «النَّاسُ يضطربون في أمورهم؛ ويسألوني إطلاقَ الرِّقَّةِ^(٣) إلى ذَوِي عَنَابَتِهِمْ؛ وأنتَ خارجٌ عن جُلَّتِهِمْ؟»، فجَازاني

(١) الحَوْل: السنة

(٢) استأمره: شاوره

(٣) إطلاق الرقعة: يعني إرسال الرسائل

خيراً^(١) . ورَقَّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محله ، فخلوتُ به وقلت له : « لو استجِزْتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ ؛ واسكنِ استعين بي في أمرك » . فقال : « والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليج - وكان هذا الرجلُ يتولى شُرطَتِي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً ؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهم ؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري ، فقلت له : « والله لا تَتَنَّ في أمرك ما أخطر به على نفسي . أنا أطلقك سرّاً على أن تُوثِّقني بأيمانٍ مُحَرَّجَةٍ أنك لا تهربُ عني ولا تُخْفِرُنِي »^(٣) ، فقال : « إذا كنتُ عندك بمنزلة مَنْ يُشكُّ فيه ؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي » . فواثقته - من غيرِ يمينٍ آرتهنته بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام ، فأطلقته ليلة الجمعة ، وفارَّقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سَحَرُ يوم السبت ، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن ، فلما دَخَلَ سَجَدَ وَحِدَ الله ، وقال لي : « بعثتُ إلى أبي طالب الخليج - امرأة من أهلنا وَطَوَّيْتُ عنه إطلاقي ، وسألتُه أن يَلْطَفَ في أمري فوعد بذلك ، وخلفَ المرأة حتى ترجعَ إليَّ بالجواب . وركب إلى

(١) جزاء خيراً : قال له . « جزاك الله خيراً »

(٢) في الأصح : « عن »

(٣) أخفر ذنته : نقضها

(٤) كما فتحت : يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر ؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَتَاهُم إِلَى غَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَآتَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي : « كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُنِي رَجُلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ، » ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ فَيْكَ ، » . فَسِحِرَتْ ^(١) - مَعَ مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكَ رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي بِهِ أَسْهَلُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ ^(٢) حَتَّى وَآتَى الرَّجُلُ قَلْسُلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حُوتِلُونَ ، وَجُلُسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ - فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتْهُ بِالْإِنْجِلَابِ عَلَيْهِ فِي الثَّغْرِ ^(٣) . فَاعْتَذَرَ بَعْدَ قَيْسِلِهِ ، وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَصْدًا مَا خِفْتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي عِنْدِي ^(٤) إِلَى أَنْ فَرَّقَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »

ابن أسباط
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ :

(١) سحر : يكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع . كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عذوه . والثغر : موضع الخفاقة من

أطراف البلاد

(٤) من آثرهم . أي من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون - في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بن أسباط فسأل عنه . فقيل له : « وقف بالباب طويلاً وأُصِرَّف » . فقال : « إن هذا الرجلَ مَنَ عَمَرَ هذه المِزْلَةَ مدَّةَ طويَلة ، ولست أشكُ أنْ يَجِيتهُ حاجةٌ له ، ومن الجليلِ أنْ أركبَ إليه فأقتضيه حوائجه ، وأُباعَ فيها مَحَبَّتَه » . ثم ركبَ وسيرتُ معه ، حتى دخلوا دارَ إسماعيلِ ابنِ أسباط - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً طاريةً من السُّورِ والفرش ، وتأمَّلنا مَنْ فيها من الحَشمِ على حالٍ سيئةٍ . فاستقبله إسماعيلُ بالشُّكر والدِّعاء له ، فقال له الواسطى : « إنه لا فرقَ بينك الساعةَ عندى فى المِرتبةِ التى كنتَ فيها . ومن جَمالِكَ فيما أفضى إلينا أنْ نُحسِنَ فيه خِلافةً من تقدَّمنا ، وأنْ نراهم كالآباءِ المُستحقِّين البرَّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته . فقال : « أخبركُ بها بعد أنْ أحدثكُ بشيءٍ يدلُّ على أنَّ المعروفَ يَنفَعُ عندَ مُستحقِّهِ من غيرِ المُستوجِبين له » .

« كانتْ لى - أيَّدك اللهُ - دارٌ خيلَ نحو المُنظر ^(١) ، وكنتُ أركبُ إليها فى غداةِ الليلةِ التى أعاقِرُ فيها إخوانى . فركبتُ إليها يوماً فأُقيتُ فى الصَّحراءِ جَمْعاً من العامَّةِ ، وقد ضاقتْ بهم ، ومعهم عاملُ المَعونة . واستقبلتْنى امرأةٌ قد هَتَكَتْ سِتْرَها ، وكشفتْ

تَشَعَّرَهَا، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! أَخِي ، وَوَاحِدِي ، وَكَافِلِي ، يُعْرَضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةِ ^(١) . فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : « اجْتَمَعْنَا لِنَضْرِبَ خَنَاقَ بِالسُّوْطِ » ، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ : « مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ » ، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْإِدْعَاءِ لِي ، وَانْصَرَفُوا . فَسَأَلْتُهُ الْبِعْتَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَلَمَّا صَلَيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : « أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ ؟ ^(٢) » ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي لَا أَعَارِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا » ، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مَنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَتْرِ ،

« وَأَقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنَيْنَ ، وَتَقَاصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا . فَلَمَّا بَلَغْنَا ^(٣) بِمَا نَطَالِبُ بِهِ ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدًا إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَطَالَبْنَا الْوَزِيرَ بِمَا لَفَقَهُ أَبُو تَمِيمٍ عَلَيْنَا ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا ^(٤) » ، فَقَالَ : « فُلَان ! » فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ ^(٥) عِنْدَهُ : غَلِيظُ الطَّنْبِجِ ، كَرِيهُ الْوَجْهِ ، تَنَامُلُ الشَّرِّ فِي سَجَايَاهُ ، فَقَالَ : « اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ » .

(١) الطعنة : طريقة كسب الرزق ، يقال : « فُلَانٌ طَيِّبُ الطَّعْمَةِ أَوْ خَيْشَاهُ »

(٢) بلع الغريم : أفلس

(٣) الاختلال : الحاجة والفقير

(٤) أثيرة : مكينة مقربة

أَبْنَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَيرْجُو هَذَا أَنْ يَلِيَا الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ يَطْلَعُ فِي خَيْرِ مَنَى ! وَاللَّهُ لَوْلَا مَاسَّةٌ رَحِمَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُ مِنْ وَسْطِهِ شِبْرًا ^(١) ،

ثُمَّ عَاتَقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « رُسُولِي إِلَيْكَ صَاحِبٌ » . فَرَجَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَوَّضَهُ ، وَبَقِيَ فِي حَبِيرَةٍ لِعَجْزِهِ عَمَّا يُنْهَضُهُ . وَوَأَفَاهُ رَسُولُ مُسْلِمَةَ يَقُولُ : « لَمْ أَقْدَرْ فِي سَفَرِي هَذَا طَوْلَ الثَّلَاثِ ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي مَا حَمَلْتُ مَعِيَ إِلَّا أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِالْأَلْفِ ، وَخَلَّفْتُ الثَّلَاثُمِائَةَ لِنَفْقَتِي » ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : « تُخَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الرَّشِيدُ فِي حَدِيثِهِ الْمَوْصِلُ فَبِكِي ، وَقَالَ : « وَصَلَتْ أَبَا سَعِيدٍ رَحِمَهُ ، وَاللَّهُ لَا دَخَلَ الرِّقَّةُ حَتَّى أَقْضَى حَارِفَتَهُ عِنْدَنَا » . فَلَمَّا وَافَقْنَا حَصَنَ مُسْلِمَةَ ، أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَبَيْدٍ ، قَالَ :

ابن نصير
والوزاق

« وَدَعَتِ إِسْحَاقُ بْنُ نُصَيْرِ الْعِمَادِيِّ فِي بَعْضِ خَرَاجَاتِي إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ بَغْدَادَ ، فَادْفَعْ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى ثَمْعَلَبَ ، وَأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى الْمُبَرِّدِ ، وَصِرْ إِلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَانْظُرْ إِلَى أَوَّلِ دُكَّانٍ لِلرَّاقِينَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَهَا - إِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَمِتْ - قَدْ شَاخَ ، فَاجْلِسْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : « إِسْحَاقُ بْنُ

تفسير يقرأ عليك السلام : وهو الغلام الذي كان يقصدك كلَّ
 خشية - راجلا من دار الروميين - بدرّاعة ^(١) وِعِامة ونعل رقيقة ،
 فيستعيرُ منك الكتابَ بعد الكتاب ، فإذا آتتْهُ كِرَاءَ ما تَسَخَّرَ
 منه ^(٢) قال : « أَصْبِرْ عَلَى إِلَى الصُّنْعِ » ^(٣) ، فإذا استقرتْ معرفتي
 في نفسي دفعتُ إليه هذه الألف دينار وقلت له : « هذه ثَمَرَةُ
 صَبْرِكَ عَلَى ،

قال لي أحمد بن وليد : فلما دخلتُ بغداد - ودفعتُ الألف دينار
 إلى ثعلب والمبرد - ، مضيتُ إلى قصر وُضَّاح ، فألقيتُ الدَّكَّانَ التي
 وَصَفَ لي قفراً ليس فيه كتابٌ ، ورأيتُ فيها الشيخَ الذي وَصَفَهُ
 لي في حالِ رَتَّةٍ وثيابِ خَلْقَةٍ ^(٤) ، وقد أَفَضَى به الأمرُ إلى التوريقِ
 للناسِ ^(٥) . فجلستُ إليه وسألتُه عن حاله ، فقال : « يا أخى ! ما ظنك
 بحالِ : ما تَتَأَمَّلُهُ في أَحْسَنُ ما فيها ؟ ، ثم خَرَجْنَا إلى المسألة إلى أشياء
 كان فيها خَبَرٌ إِسْحَاقَ بْنِ تَقْسِيرٍ ، فقال : « قد كان يَجِئُنِي من دَارِ
 الرُّومِيِّينَ غلامٌ - ووصفُهُ - فَأَسْتَحُجُّهُ بِالنُّسخَةِ بعد النُّسخَةِ - يقال له :
 « إِسْحَاقُ » ، وكان يَعِدُنِي في كُلِّ شَيْءٍ يَأْخُذُهُ إلى الصُّنْعِ ، وَأَخْبِرْتُ
 أَنَّهُ وَقَعَ بِنِوَاحِي مِصْرَ وما حَصَلَ لي منه شيءٌ » ^(٦) ، فَأَخْرَجْتُ الألف

(١) الدِّزَاعَةُ : جبة مشقوقَة المقدم

(٢) الكِرَاءُ : أَجرُ المستأجر

(٣) الصُّنْعُ : يريد صنع الله ولطفه

(٤) خَلْقَةُ : بالية

(٥) التوريق : نسخ الكتب - على الورق - وتجليدها . وهو الوراق

(٦) - مكافأة -

الذي ناز وقلت له ، يقول لك : « هذه ثمرة صَبْرِكَ » ، فكاد والله يموت فرحاً . فقلت له : « ليست دراهم وهي دنائير ! » . وانصرفت عنه وهو أحسن من في سوقه حالاً

قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة ، وهو متصدّر فيها على أحسن حال وأوفاهها ،

ابن الزنق
والقاسم بن
شعبة

٨ - وكان بفتح دار المنقود شيخ يتنخس^(١) في الدواب . يُعرف بابن الزنق . قد لحق بمصر أكابرها ، ورأيت في أيام أحمد ابن طولون قد علّت سِنه ، وضعف عن التصرف . وكان له ابنُ أخت - خفيف الروح ، مقبول الصورة ، حلو اللفاظ ، يتنخس في الدواب . تخف على قلب القاسم بن شعبة . وكان شعبة من أكابر أصحاب أحمد بن طولون ، ومات في طاعته ، قرّد إلى القاسم - ابنه إحدى الشرطتين بمصر . فانصرف ابنُ أخت ابن الزنق من عند القاسم وقد خلع عليه دُرّاعة خَزّ من تحتها جبة ملحم^(٢) ، فنظر إليها شأنه ابن الزنق ، فقال : « ما هذه الحلعة الرائعة ؟ » ، فقال : « خلعتها على القائم » . يربد القاسم بن شعبة . فقال : « يا بُني ! إن كنت تصبر على انتسلي معه في حِجته ، كما تتدلّي في رِيعه . وإلا فاعتزله . ولا تتصنّعوا بالتدرد عنه في نوابه » ، فقال : « أرجو أن يصونه الله

(١) التنخس : بائع الدواب . ويتنخس فيها : يتجر

(٢) الملحم : ضرب من الياق تحتلف لحمته عن لحمه غيره في نوعها

وما أنعم عليه به، من نائبة تلحقه، أو مكروه يقع به،، فقال: «وَأَنَا أَرْجُو هَذَا أَيْضاً لَهُ، وَلَكِنْ يَدْبِقُ أَنْ لَا تَلْسَى نَصِيْبَهُ مِنْكَ فِي الشَّدَّةِ، كَمَا عِنِّي بِكَ فِي النُّعْمَةِ»

وَاتَّصَلَ بِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ شُعْبَةَ شَيْءٌ أَنْكَرَهُ، فَخَبَسَهُ وَوَكَّلَ بِدَارِهِ جَمَاعَةً، وَآخَتَفَى النَّخَّاسُ فِي دَارِ خَالِهِ - فَسَأَلَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ عَنْ سَبَبِ مُلَازِمَتِهِ الْمَنْزِلَ، فَقَالَ: «وَجَدْتُ عِيْلَةً»، إِلَى أَنْ اتَّصَلَ الْخَبْرُ بِالشَّيْخِ، فَدَخَلَ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ فَقَالَ: «قَبَّلَكَ اللَّهُ! سَرَقْتَ مَعْرُوفَ هَذَا الْقَائِدِ، وَخَلَيْتَهُ يُقَارِعُ شَجْوَهُ بِمُحَنَّتِهِ ١٩». وَأَسْرَجَ حِمَاراً لَهُ وَرَكِبَهُ، وَجِيرَانُهُ يَنَاشِدُونَهُ اللَّهَ أَلَّا يَفْعَلَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الْقَتْلُ أَحْسَنُ عَمَّا آتَى بِهِ هَذَا الْوَعْدُ»

ثُمَّ قَصَدَ دَارَ الْقَاسِمِ بْنِ شُعْبَةَ - وَعَلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُوَكَّلِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ^(١) -، فَوَقَّفَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ: «كَيْفَ حَالُ الْقَائِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَيْدَهُ اللَّهُ؟»، فَقَالُوا: «أَمْضِ يَا شَيْخُ»، فَقَالَ: «مَا أَمْضَى حَتَّى أَجِبَ عُدْرًا! هَذَا رَجُلٌ قَدْ لَزِمْتَنِي لَهُ عَارِئَةً، وَهَذَا أَوْ أَنْ تَهْتَأَمَهَا». فَوَقَعَ خَبْرَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ فَأَحْضَرَهُ، وَقَالَ: «مَا كُنْتَ تَعْمَلُهُ لِلْقَاسِمِ ابْنِ شُعْبَةَ؟»، قَالَ: «أُولَئِكَ فِي بَعْضِ أَقَارِبِي جَمِيلاً، فَانْتَصَبْتُ السَّاعَةَ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ وَمَا أَحَقُّ الْأَمِيرَ أَنْ يَفْضُلَنِي بِحُسْنِ الْمَكَافَاةِ عَنْ طَاعَةِ وَالِدِهِ لَهُ، فَمَقْدَكَ كَانَ مَشْهُوراً بِهَا»

فَخَدَّتْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّرْسُومِيُّ - أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ تَأَلَّى لَهُ فِي

هذا المجلس : « ما أحسن ما اهتدى هذا الشيخ إلى إذكاري بحق قاسم وعظمني عليه ١ ، ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خلعاً رضى ، وصرّفه إلى منزله . وعدّل الشيخ ولم يدخل معه داره ؛ وانصرف إلى بيته وقد قام بما قعد عنه ابن أخته

٩ - وحديثي هارون بن ملول ، قال : هارون بن
ملول وابن تميم

لما مات أبى ورثتُ منه مالاً جماً ومُسْتَعْلَاتٍ نفيسةً - وكان يَقْصُرُنِي على زِيِّ التجار ، وَيَمْنَعُنِي من التَّخَرُّقِ ^(١) والسَّرْفِ في الهَيْئَةِ - ، فَمَدَدْتُ إلى أثوابٍ وثِيَّ سَعِيدِي ^(٢) كانت في المتاجر التي خَلَفَهَا والذي قَطَعْتُهَا ، وَقَطَعْتُ لخدم - أُرْتَبِطُهُم للتجارة - من المُلْحَمِّ والديباج مالا يَسْمَحُّ به أحدٌ من أبناء التَّرفَةِ . وجالستُ في الوُثْيِ ، وقَامَ الغلبان بين يدي فيما قَطَعْتُهُ لهُم

وَوَافَانَا إِسْحَاقُ بن إبراهيم [بن تميم] مُقْتَدَا ، فَنَأْمَلُنِي فَقَالَ : « لَقَدْ سَرَفِي بِذَلِكَ يُنَمِّتُكَ وَحُسْنُ زِيِّكَ ^(٣) ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنُ إِلَيْكَ » . ثم وَافَى جَمَاعَتَهُ من إخوان أبى وأصفيائه ، فَوَاللَّهِ مَا أُنْكِرُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ زِيِّ أَسْلَافِي . فلما كَانَ فِي عَيْنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَافَانِي رَسُولُ إِسْحَاقَ بن تميم : « عِنْدِي مِنْ لَأَتَحَدِّثُكُمْ ، فَنُقُولُ

(١) التخرق : التوسع في العطاء والمعيشة

(٢) وثي سعيدي : ضرب من برود اليمن موشية تعرف بالسعيدية ، منسوبة إلى سعيد بن العاص

(٣) اليةمة : حالة اليتيم ، ولم ترد في كتب اللغة

جَمَاعَتَنَا بِمَحْضُورِكَ ؟ قَدِ اعْجَبَنِي الْيَوْمَ حُسْنُ زِيَّتِكَ ١ . فَوَدَّتْ فِي
الْخِلْعَةِ وَرَكِبَتْ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَقِدِّعْ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ
وَالِدِي . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الصَّحْنُ ابْتَدَرَنِي الْغُلَامَانِ ، وَصَاحَ بِي إِسْحَاقُ :
« تَتَوَمَّنُ يَا جَاهِلُ أَنَّ أَبَاكَ مَقْضَى وَاسْتَرَحَّتْ ١ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ
خَلَّفَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْآبَاءَ بِأَسْرِهِمْ يَرُدُّونَكَ عَنِ الْخَطِئِ بِالْيَمِّ الْعَقُوبِيَّةِ ،
وَلَا يَشْفَعُونَ فِي مَصْلَحَتِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا كَانَ أَبُوكَ يَرْقُبُ عَنْهُ فَيْكَ ؟ »
ثُمَّ يُطْلِعُ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، فَصَحْتُ بِهِمْ : « يَا سَادِقِي ١ وَاللَّهِ
مَا قَرِعْتُ قَطُّ بِمَقْرَعَةٍ ١ » ، فَقَالَ إِسْحَاقُ : « وَلَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذَا
الْفِعْلِ ١ » . وَضُرِبْتُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَلَمْ تُرْفَعْ الْمَقْرَعَةُ عَنِّي حَتَّى
حَلَقْتُ لَمْ أَلَا أَزِيدَ عَلَى مَعْرِضِ وَالِدِي رَأْفَتِصَادِهِ ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذَا
إِلَى الْيَوْمِ »

وَمَا زَالَ عَنْهُ إِلَى أَنْ تُتَوَفَّى



١٠ - وَلَمَّا اسْتَفْعَلَ أَمْرُ ابْنِ الْخَلِيجِ ، انْحَاذَرَ عَنْهُ جَيْشُ مِصْرٍ ^{وَعَرَابٍ مِنْ} ^{الْقَيْسِيَّةِ} ^{الْمُؤَلَّفِ} إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَخَلَا الْفُسْطَاطَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ بِمَدِينَةِ أَهْنَاسٍ ^(١) ،
وَاضْطَرَبَتِ النِّوَاحِي ، وَاحْتَجَّتْ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْفُسْطَاطِ . فَخَفَّرَتْ
بِأَرْبَعَةِ ثَفَرٍ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ ، دَفَعَتْ إِلَيْهِمْ عَشْرِينَ دِينَارًا وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ ،
فَاحْسَنُوا الْعِشْرَةَ ، وَاجْتَلَوْا الشُّجْبَةَ . وَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بِحَيٍّ وَلَا جَمَاعَةٍ
إِلَّا كَفَّوْنَا مَوْوَنَةً كَلَامَهُمْ ، وَصَرَفُوا عَنَّا بِأَسْهَمٍ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ

(١) أَهْنَاسُ : بَلَدَةٌ بِالصَّعِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبَهْنَسَا

دَابُّنَا حَتَّى بَلَّغْنَا قَصْرَ الْجِيزَةِ ، فَأَقْبَلْتُ رَعْلَةً مِنَ الْأَعْرَابِ ^(١) -
 قَدَّرْتُهَا بِرَأْيِ الْعَيْنِ خَمْسِينَ فَارِسًا - كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حِيَّتِهِمْ ، فَصَبَّمتُ
 نَحْوَنَا بِرِمَاحِهَا ، وَحَمَلْتُ عَلَى نَهْبِنَا وَقَتْلِنَا ، وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي أَسِنَّتِهِمْ .
 وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ - الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ - لِقَاءَهَا وَالتَّضَرَّعَ إِلَيْهِمْ ،
 وَنَاشَدُورَهُمْ أَلَّا يُخَفِّرُوا ذِمَّتَهُمْ ، وَأَجَلُّوا النَّاتِيَّ حَتَّى انْصَرَفُوا ^(٢) .
 وَجَدَدْنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى اتَّهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ لَنَا ، فَقَالَ
 الْمُخَفَّرُونَ : « قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مِنْ تَأْمَنُهُ ، فَحُطِّ رَحْلُكَ ، فَاتَسَقَّلْ ^(٣)
 دَوَابَّكَ الزِّيَادَةَ عَلَى هَذَا السَّيْرِ » . فَزَلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْغِلْمَانِ فِي
 إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ لِلطَّعَامِ مَسَاغًا مِنْ قُرْطٍ مَا لِحَقْنِي مِنَ الرُّوْعِ .
 وَعَمِلْتُ فِي الْمُخَفَّرِينَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَعَشَرًا حَقَّنُوا دِي
 وَقَدْ شُرِعَتْ نَحْوِي الْمُتَّقَةُ السَّمُرُ
 دَرَاهِمُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِضَعْفِهِمْ
 وَأَعْرَاضُهُمْ مِنْ دُونِهَا الْغَفَرُ وَالسُّرُ
 إِذَا مَا أَغَارُوا وَاسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً
 أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي رِحَالِهِمُ الشُّكْرُ
 وَبِذَنْ نَزَلُوا قَطْرًا مِنَ الْأَرْضِ شَاسِعًا
 نَسَا حَزْرَهُ أَلَّا يَكُونَ بِهَا قَطْرُ

(١) اردل : جمع من الخيل قدر عشرين

(٢) ناتي : ياتي له واثاه من وجهه

(٣) تسقل : تحمل

فَلَحَظْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَكْتُبُهَا ، فَظَنَّ أَنِّي أَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ
خَاشِئِي مَا كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ لَقُونَا بِقَصْرِ الْجَبْرِ ، فَقَالَ :
« قَدْ سَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا فِي حُسْنِ
الْإِجَابَةِ لَنَا ، فَلَا تَكْتُبْ فِيهِمْ بَشْيَءٌ » . فَقُلْتُ : « وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ
فِيهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ بَشْيَءٌ » ، فَقَالَ لِي شَيْخٌ مِنَ الْمُخَفَّرِينَ
- وَقَدْ قُرِبَ مِنِّي - : « فَا تَكْتُبْ ؟ » ، قُلْتُ : « أَكْتُبُ أَيَّامًا
مَدْحُكُمْ فِيهَا » ، فَقَالَ : « وَإِنَّكَ لَتَقْرُضُ الشَّعْرَ ؟ » ، قُلْتُ :
« نَعَمْ ! » ، قَالَ : « أَنْشِدْنِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :
« بَرَكَ اللَّهُ وَوَصَّلَكَ ! »

ثُمَّ صَاحَ بِالثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا ، فَاخْرَمَ - شَهِدَ
اللَّهُ - حَرْفًا وَاحِدًا ، فَتَجِبْتُ مِنْ حِفْظِهِ لَهَا وَلَمْ أَعِدْ عَلَيْهِ حَرْفًا
مِنْهَا ، وَتَبَيَّنَتِ الْفَرَحُ فِي سَائِرِهِمْ ، وَحَفِظُوهَا بِأَجْمَعِهِمْ . ثُمَّ صَاحَ
بِهِمُ الشَّيْخُ : « مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ أَرَحْضُوا ^(١) السَّوْدَةَ عَنْكُمْ » . فَأَدْخَلُوا
أَيْدِيَهُمْ فِي جُيُوبِهِمْ ، وَجَمَعُوا شَيْئًا أَخَذَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي :
« قَدْ شَكَرْنَا صَلَاحَكَ ، وَاللَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ شِعْرِكَ وَوَفْرِكَ ! » ، وَوَضَعَ
الْعَشْرِينَ الدِّينَارَ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَأَعْظَمْتُهُ . فَقَالُوا لِي :
« الصَّوَابُ أَلَّا يَعْلَمَ بِهَا عَشِيرَتُنَا ، فَيَرْجِعَ عَلَيْكَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا
خَفَّتَهُ مِنْ لَقِيكَ بِقَصْرِ الْجَبْرِ » . وَرَكِبْتُ فَسَرْتُ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ
مِنْهُمْ وَهُمْ يَلْشُدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَالْتَمَسْتُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنِّي بَرًّا فَلَمْ

أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ الشَّعْرَ أَحْسَنُ مَوْقِعًا مِمَّا مَلَكَتْهُ

المؤلف
وجبايى

١١ - وَنَزَلَ فِي حَارَتِنَا غِلَامٌ أَمْرَدٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَكُنْتُ
أَسْلَمَ عَلَيْهِ إِذَا آجَنْزَتْ بِهِ ، كَمَا أَفْعَلُ هَذَا بغيرِهِ مِنْ جِيرَتِي .
فَانْصَرَفْتُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا عَلَى بَابِهِ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ رَقْعَةً
يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ ، وَيَسْأَلُنِي فِيهَا بِرَّهِ . وَدَخَلَ
مَنْ كَانَ مَعِيَ بِدُخُولِي ، فَقَضَيْتُ شُغْلِي بِالْجَمَاعَةِ حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، وَوَضَعْتُ
الْمَائِدَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِيِّ فَأَكَلْنَا ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي فَلَا يَجِدُ فِيَّ شَيْئًا
قَدَرَهُ . فَلَمَّا غَسَلَ يَدَهُ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دَنَائِرَ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ
مِنْ تَقْصِيرِي فِي حَقِّهِ ، وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ رَأَيْتُ تَبَجُّجِي فِي حَمَالِيْقِ
عَيْنِيهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بُسِّيَّاتٍ^(١) - وَأَنَا فِي ضِيَاعٍ تَقَبَّلْتُ بِهَا^(٢)
وَلِي فِيهَا غَلَّةٌ^(٣) بِمَالٍ جَسِيمٍ ، يَخْفَتُ أَنْ أَدْخُلَ الْفُسْطَاطَ فَتَتَخَرَّبَ
الضِيَاعُ وَتَتَعَطَّلَ عِمَارَتُهَا ؛ فَكُنْتُ أَكْمُنُ نَهَارًا فِي بَعْضِ مَنَازِلِ
الْفَلَاحِينَ ، وَأُظْهِرُ لَيْلًا فَأَعْقِدُ مِنْهَا مَاتِيًا إِلَى عَقْدِهِ^(٤) . فَإِنِّي لَكَامُنٌ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةً شَدِيدَةً ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) تصغير سنوات

(٢) تقبل بخراج أو جباية : تكفل بها والتزمها بعقد

(٣) الغلة : الدخل من كراء دار ، أو أجر غلام ، أو فائدة أرض .

(٤) يعقد منها : يريد يجمع منها

غُلْبَانِي . فقال : « دَخَلَ أَصْحَابُ دُمَيَانَةَ الضَّيْمَةَ ، وَعَمِلُوا عَلَى نَقْلِ اللَّغَلَاتِ » ، وَأَيَقَنْتَ بِتَلَفِ أَكْثَرِ مَا أَمْلَيْكَ ، ثُمَّ سَكَتَتْ أَصْوَاتُهُمْ

ودخل إلى غلام لي فقال لي : « يامولاي ! كانت هذه الضياع قد أشفّت على نقل ما فيها ^(١) ، حتى نفّر إلى القباشي الذي كان في جوارنا ، فقال لي : « ألسْتَ غَلامَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ؟ » قلتُ : « نعم » ، قال : « فهذه ضياعه ؟ » ، قلت : « نعم » ، فصاح بالجماعة التي دَخَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ دُمَيَانَةَ : « أخرجوا بأشركم عنها » ، فخرجوا . ثم قال لي : « قل لاولاك : يَا سَيِّدِي ! مَعْلَى عِنْدَ الْأَمِيرِ دُمَيَانَةَ مَعْلَى الْأَخِ ، فَأَظْهَرِ وَارْكَبْ إِلَيْهِ ، فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ » . فسألت الغلام : « ما كان زِيَّهٍ ؟ » ، فقال : « كان عليه كساءٌ صَوِيفٌ مِمَّا يُنَامُ فِيهِ ، وَتَحْتَهُ خُفَّتَانُ » ^(٢)

فأحضرتُ بهِضَ شَايِخِ الضَّيْمَةِ ، وَحَمَلْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ دُرَاعَةَ خَزَرٍ كُحْلِيَّةً ، وَهُوَ طَرَفُ خَزَرٍ ^(٣) ، وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِي . فَقَبِلَ الدَّرَاعَةَ الْحَزَّ ، وَرَدَّ الْمِطْرَفَ وَالْدَنَانِيرَ ، وَقَالَ لِرَسُولِي : « وَاللَّهِ لِلثَّلَاثَةِ الدَّنَانِيرَ - الَّتِي وَهَبَهَا لِي لِشَرَفِي لَا لشيءٍ مِمَّا ظَنَنْتُهُ بِهِ - أَحْسَنَ مَوْعِدًا عِنْدِي بِمَا رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ ،

(١) أشفى على كذا : أشرف وقارب

(٢) الخفتان : ضرب من الثياب ، وكأنه قريب مما نسميه (القفطان)

(٣) المطرف : ثوب يكون في أطرافه وشئ وأعلام

فَكَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ ۚ
فَلَمْ يَزَلْ عُصْدًا لِي وَسِتْرًا عَلَيَّ ، حَتَّى انصَرَفَ دِمْيَاةً عَنِ
النَّاحِيَةِ

١٢ - وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْقُضَيْلِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ نَجْمٍ - وَكَانَ هَذَا
الرَّجُلُ حَسَنَ الْكِتَابَةِ - ، قَالَ :

« تَرَدَّدْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ قَرْجٍ الرَّخِجِيِّ مُدَّةً ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . فَقَالَ : « قَدْ أَنْصَيْنَاكَ ^(١) » اَقْدَاسَتَمَمْتَ فِي
هَذَا الْيَوْمِ سَنَةً ، وَوَقَّعَ لِي بِتَقْلِيدِ عَمَلِ سَنِيٍّ . وَاضْطَرَبْتُ فِيمَا
أَحْتَاجُ إِلَى التَّجْهُِّزِ بِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْصُ ^(٢) رِكَابِي ، بَرَزْتُ
ظَهْرِي وَقَفَلِي ^(٣) ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَنَصِّرِ
أَتُنْتَظَرُ تَوْدِيعَ عُمَرَ وَالْخُرُوجَ إِلَى عَمَلِي . فَرَأَيْتُ ظُلْمَانَ عُمَرَةَ سَالِلُونَ
فَسَأَلْتُ عَنْ السَّبَبِ ، فَقِيلَ لِي : « سَخِطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عُمَرَ ،
فَخَرِثْتُ ، وَخَفْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِي فَأُخْشَرَ جَمِيعَ مَا أَنْفَقْتُهُ .
فَبَدَأْتُ لِي تِلْكَ الْحَبِيرَةَ حَتَّى خَرَجَ عُمَرُ بْنُ قَرْجٍ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ
شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ لِي : « أَبْنِ كُلَّ مَنْ كَانَ مَعِيَ ؟ » ، فَقُلْتُ
« تَسْتَلُّوْا لِلْحَادِثِ ۚ » ، فَقَالَ : « وَقَدْ وَكَّلَ بِهَذَا الشَّيْءِ عَلَى

(١) أَنْصَادٌ : أَتْبَعَهُ

٢ أَنْصُ الرِّكَابُ : تَسْيِيرُهَا

٣ خَرِثْتُ : دَنَيْتُ . دَنَى الْمُسَافِرُ وَحِشْمَهُ

أَنْ يَنْفِيَنِي إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، وَلَمْ أُعِدَّ شَيْئاً وَلَا أُجَدُّ مِنْ يُعِدُّهُ لِي ،
قلت : « هَذِهِ قُبَّةٌ وَظَهْرُ يُقَالُ ، وَأَنَا أَصْجُبُكَ شُكْرًا عَلَى مَا أَسْلَفْتَنِي
مِنَ التَّقْلِيدِ »

فركب القُبَّةَ ، وَأَحْضَرَ الشَّيْءَ قُبَّةً لَهُ ، وَرَكِبْنَا وَأَنَا أُعَادِلُهُ ^(١) ،
وَأَتَيْتِ الْمَسِيرُ بَنَا إِلَى خُرَّاسَانَ . وَكُنَّا لَا نُفْضِي مِنْ بُلْدَانِ خُرَّاسَانَ
إِلَى بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ أَغْلَظَ طَبْعاً مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي فَارَقْنَاهُ ، حَتَّى بَلَّغْنَا
بُخَارَى ، فَرَأَيْنَا قَوْمًا فِي نَهَائِهِ مِنْ غِلَظِ الطَّبَاعِ ، فَقَالَ لِي - حِينَ
رَأَى أَنِّي أُنْعَجُّ مِنْهُمْ - : « كَيْفَ لَوِ رَأَيْتَ التُّرْكَ وَبُلْدَانَهُمْ ؟ يَقْتُلُونَ
الْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ ، وَيُغَيِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، قِتْلُكَ النَّارِخُ إِلَيْهِمْ
يَنْتَهِي ^(٢) » ، فَزَادَنِي هَذَا الْقَوْلُ تَهِيئاً لِلْسَّيْرِ مَعَهُ ، ثُمَّ مَلَكَتْ
مَا اسْتَغْرَبَ ^(٣) مَنِّي ، وَتَمَاسَكَتْ

وَجَدَّ بَنَا السَّيْرِ عَنْ بُخَارَى إِلَى أَرْضِ التُّرْكِ ، وَإِنِّي مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ -
وَهُوَ يُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ تَبَيُّنِهِ مَا يُقْلِقُنِي مِنْ رُكُوبِ
مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ - حَتَّى سَمِعْنَا خَلْقَ الْبَرِيدِ ، فَتَنَوَّعْنَا لَهَا ،
وَوَافَى بِهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكِتَابُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِالْحَضَرَةِ : مِنَ الرِّضَا
عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ، وَيَأْمُرُهُ فِيهِ بِكَشْفِ مَدُنِ خُرَّاسَانَ ، وَتَجْرِيدِ
حُقُودِهَا عَلَى أَصْوَابِ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِثَارَةِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ

(١) عادله : ركب معه في الجانب الآخر من محل البعير.

(٢) النارخ : الطائر الغريب

(٣) ما استغرب مني : ما تباعد عني من عزيمتي ورأيت

فيها . فلما استتم قراءته ؛ حمد الله وألقى الكتاب إلى ؛ وقال : « بارك
الله لك في الخلاص وهناك المزيده » . ورد إلى تأمل ما أمر به
أمير المؤمنين من كشف عقود النواحي ،

فانصرفت إلى منزلي بمائة ألف دينار ؛ مع ارتهان شكر المعاملين
وإححاد السلطان » ^(١)

✽ ✽ ✽

والد المؤلف ١٣ - وحدثنا أحمد بن يوسف ، قال :

والمصطنع

« حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم والذي في بعض
داره - وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه ^(٢) . فكان
يستره ينهيك لحوف شمله عليه . وكان له جماعة من أبناء الستر
يتحمل مؤنهما ، مقيمة عليه لانتعاط إلى غيره . فاجتهدوا - وكانوا
زهاء ثلاثين رجلا - فركبوا إلى دار أحمد بن طولون ، نوقعوا بباب
له يعرف بباب الجبل ، واستأذنوا عليه فأذن لهم . فدخلوا إليه ،
وعنده محمد بن عبد الله بن الحسك وجماعة من أعلام مشهورى مصر ،
فأبتدروا كلامه بأن قالوا : « قد اتفق لنا - أيد الله الأمير - من
حضور هذه اجماعة مجلسه ، مارحونا أن يكون ذريعة إلى ما نأمله :
ونحن نرغب إلى الأمير فى أن يسأله عنا ، ليقف على منازلنا » .
فسألم عنهم ، فقالوا : « قد عرخت العدالة على أكثرهم فامتنع

(١) أحده السلطان : رضى عنه ورجده مستحقا للحمد

(٢) آيسه الامر : مثل آياسه

منها « (١)

فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس؛ وسألمهم تعريفة ما قصدوا له؛ فقالوا: « ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يُقدّمنا إلى ما اعتزم عليه فيه: إن آثر قتلَه أن يقتلنا؛ وإن آثر غير ذلك أن يُسلف بنا (٢)، وهو في حِلٍّ وسعة منه، قال: « ولم ذلك؟ »، فقالوا: « لنا ثلاثون سنة مافكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه؛ ولا وقفنا بباب غيره. ونحن والله أيها الأمير نرتمض (٣) البقاء بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه، رجعوا بالبكاء بين يديه. قال أحمد بن طولون: « بَارَكَ اللهُ عليكم فقد كافأتم إحسانه وجزايتهم لإنعامه »، ثم قال: « على يوسف بن إبراهيم، فأحضر. فقال: « خذوا بيد صاحيكم وانصروا ». فخرجوا معه؛ وانصرف بهم إلى منزله »

١٤ - قال :

المؤلف
« وطالبني بعضُ عمالِ الخراج بمصر بمالٍ زاد على ما في حاصلي؛ وبعضُ التجار

فاحتجت إلى مُعاملة بعض التجار عليه؛ فذُلتُ على رجل من

(١) العدالة: تزكية الشهود عند القاضي وتعديلهم، أي أن يقول
إنهم عدول، وكانت من وظائف القضاء

(٢) يسلف بنا: يبدأ بنا ويجعلنا سائما، والسلف: المتقدمون

(٣) ارتض الرجل من الشيء: إذا اشتد فأقلقه كأنه يقف في
الرمضاء، وهي حر الحجارة من شدة حر الشمس

أهل الشام يعامل برهون؛ فصار إلى - وأنا في بيت المال -
منه شيخ حسن الصورة جميل اللقاء ، فقال : « إلى كم تحتاج ؟ »
قلت : « إلى مائتي دينار » . فأخرج من كُمه مالا فوزنه ، واستزاد
من غلام كان معه دنانير حتى أكمل المائتين ، ثم سلمها إلى واقتضاني
خطابها ، وقال : « قد كُفيت مؤونة الرهن » ، قلت : « فكيف
أكتب الخط ؟ » ، قال : « بمائتي دينار كما أعطيتك » ، قلت له :
« سبيلُ المعاملة غير هذا » ، فقال : « والله لا قبلتُ منك فيها ربّما ،
ولو وهبتها لك لكان من أصغر حقوقك علي » ، ثم قال لي :
« تعرفني ؟ » ، قلت : « لا ! »

قال : « ركبتمُ مركبًا أريد الفسطاط من تنيس ، وحملت فيه
تجارة لي ما كنت أملك غيرها ، حتى إذا بلغتُ المَحَلَّةَ وازينتُ
ضياعا كانت في يدك ، كسر بنا ، وغرق جميع ما أملكه ، وسلتُ
بُحْشاشة نفسي ^(١) . جلستُ على الشط أبكي وأتجِب ، فأقبلت في جماعة
مَعك فسألتني عن حالي فأخبرتكم بها ، فبُثْتُ في حشد من يغوص
على المركب وما فيه وحططت على الشط ، فأخرجوا بزًّا كان
لي وتأييف ما سواه ؛ واستحلفتني على ما ذهب لي فأخبرتكم به -
وكانت قيمته سبعين دينارًا - فقسمتها لي على وُكَلَّانك وكتّابك

(١) البُحْشاشة : بقية رمق الحياة والروح في المريض والغريق

فلما حصلت لي أعطيتني دنانير من عندك وقلت لي : « هذا أرضي ^(١) ما لحقك في الثياب » ، وأمرت أن يُكْتَوَى [لي] إلى تَنْبِس ، وكتبت لي إلى جماعة مما ملك بتنبس بالحقني ، وبمعدوني على أمري ، فرجع بك إلى ما أملك ، واكتسبت جاهاً بَتَيْس تضاعف مالي به ، وحسنت معي حالاً ،
« وأخذ خطي بالمال وأنصرف »

أحمد بن بسطام
وصاعد

١٥ - وسمعت أبا العباس أحمد بن بسطام يحدث أبا الطيب

أحمد بن علي ، قال :

« لما سخط الموفق على صاعدي وكل به من يطالبه ، وأقرني والطائي على ما كنا تتفاده له . وكان صاعدٌ محسناً إلينا ، جميل العشرة لنا ، فلم نترك شيئاً نصل إليه مما خفف عنه إلا بَلَّغْنَاهُ . وكانت بيني وبين الطائي إحنة ^(٢) ، فدعاني الموفق في يوم من الأيام - ونحن بواسط وقد بَاحَ ^(٣) صاعدٌ ، واستنزل المستخرج جميع ما وصل إليه منه - ، فقال لي : « أحمد ! ادخل إلى صاعد فقل له : أظنك أرضيت المستخرج حتى فتر في مطالبتك ، والله إن لم تخرج محتجبك ، لا تولين تعذيبك بنفسى ! »

فدخلت إليه وأديت الرسالة ، فقال لي : « يا أحمد ! والله ما بقي

(١) الأرض : دية الجراحات والجنایات التي ليس لها قدر معلوم وهو

الذي نسميه « التعويض »

(٢) إحنة : حقد وعداوة

(٣) بلى : أفلس

لى شىء ، وما ملكتُ قط ما هو أحبُّ إلى من نفسى ، فنقول له :
ياسيدى اوالله ما أملك على الارض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا
جوهرأ ، وأنت أولى بالتطول على خادمك ، فانصرفت من عنده
وأنا أخاف أن يُغريه ذلك الجواب . ودخلتُ إليه وقلت له :
يقول لك : « ياسيدى ا ما أملك على وجه الارض ولا بطنها غير
مائة ألف دينارٍ عند الطائى » . فأمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه ،
قال له : « المائة الآلاف الدينار التى لصاعدٍ عندك ، قد بعثتُ إلى
يُحلف أنه لا يملك غيرها » . فقال له : « وهى بمدينة السلام ، فيُنظر فى
الاميرُ مسافة الطريق ، وأنا أستسلفُ له ما تيسرُ منها من التجار
ها هنا ؟ » . فقال له : « اكتب خطك بها » . فكتبه وسلمه إلى
الموفق ، فسلمه إلى غلامٍ من خاصته ، وانصرف الطائى

فاستقبلت ما صدر منى فيه ، وعظُم فى نفسى لتصديقه صاحبه ،
وتركتُ معارضته بما يدفعُ به المرء عن نفسه . فدنوتُ من الموفق
وقلت له : « أيها الامير اجميع ما أديته إليك عن صاعد منى تقولته ،
وقد قبُح فى عيني ، وسيدى الامير بخير بين الصفع عنه والعقوبة
عليه » . فقال : « أحسنت ا بارك الله عليك » . ثم أمر بردَّ
الطائى ، فقال : « لمَ لمَ تقترب إلى بذكر هذا المال ؟ » فقال له :
« أيها الامير ايمنعنى من ذلك ما تولاه من اصطناعى ، فقال له :
« ليس يُمنعنى إلا أن تحلف برأسى على هذا المال ، وفى أى وقت

دَفَعَهُ إِلَيْكَ . فقال : « يعفني الأميرُ من ذلك » . فقال : « والله لا فعلتُ » . فقال : « وحق رأي الأميرِ ماله عندي درهم واحد فضلا عنه ، ولكني لما رأيته قد عاذَ بالدعوى عليّ ، تيقنتُ أنه لم يبق له حيلة في المدافعة عن نفسه ، فعملت على تحمّل هذا المال ، والله ما أملكه ، ورجوتُ أن أصلَ إليه بجاهي ولطيفِ حيلتي ، فاستحضر الموفق الخطّ ودفعه إلى الطائي ، فقال له : « سخرّقه » . ثم تقدّم بإعفاء صاعد من المطالبة »

نجاح بن سلة
وابن تميم

١٦ - وكان نجاح بن سَلَمَة - مع ما يؤثّر عنه من زَعَاة أخلاقه ، ^(١) وقبح تسلّطه - يحبّ التبسط على طعامه ، ويحسن المكافأة عليه . فحدثني يعقوب بن إسحاق بن تميم ، قال : أقام إسحاق والدي ببغداد خمسا وعشرين سنة في رفعِ حسابهِ ، ينقُض الكتابَ جماعته ويسلطون الإعناتَ عليه ، قال لي يعقوب ، فحدثني أبي : أن أغلظ الكتابَ بأثرهم كان عليه ، نجاح بن سلة . قال : « فلما أفرط على سوء تحمكه ، جلست في منزلي ، فربّه آسئ ، فقال : « قد عزم إسحاق بن تميم على أن يتربّص بنا كما كان يتربّص بمن كان قبلنا ؟ » . ثم نظر إلى بعض المضمومين إليه فقال : « بكر إلى إسحاق ابن تميم فأخبره الدارَ إلى أن أنصرف » . قال : فباكرني فظنّ من الجنّد لم أملك نفسي معه حتى صار [بني] إلى دار نجاح ، فوجدناه

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق

قد ركب

فخصاني على الباب وجاس معي ^(١)، وتعالى النهار واشتدَّ جوعي،
فقلت له : « آيض معي إلى المنزل لنأكل جميعاً ونرجع »، فأبى .
فقلت لحاجب نجاح - ورايته متمكناً من داره : - « أصلحك الله ،
إني قليل الصبر على الجوع ، وأخاف أن يتأخر الأستاذ وأضعف
عن حُجتي في حضوره لعلَّبة الصَّفراء عليّ ، وقد سألتُ هذا الرجل
أن يُطلق لي الذهاب إلى منزلي لأأكل وأرجع فأبى » ، قال : « لم
لأنا كل هاهنا ؟ » . وأجلسني في بُشخانة ^(٢) فيها ، واستحضر الطعام ،
فأحضرت مائدة نجاح بن سلة ، ولم يبق حلوا ولا حامض ولا حار
ولا بارد إلا نُقل علينا . حتى إذا بلغتُ إلى الحلواء من الطعام ،
دخل الدار نجاح فجلس في المجالس ، ورآني في دخوله ، ومكان من
البُشخانة ^(٣) ، فبعث إليّ غلاماً له [يقول] : « بغياني استيم أكلك
ولا تتجاوز فيه » . فأقت حتى فرغ الطعام ، وجاءني بالغسل
والبخور ، ثم قُت . فلما رآني ضحك إليّ وقال : « من علمك على
هذا ؟ » ، قالت : « التوفيق » ، قال : « أجل ! » ، ثم قال لي : « ارفع
حسابك كيف شئت ونحوه » ، فقد أمَّنك الله من اعتراضك بشيء
تسكروه » .

(١) حملة على الباب يريد ، وصل به إليه وأبقاه
(٢) في البيت : ناصحه ، في الموضوعين ، وأقرب ما أعرف إلى هذا
الرسم هو : يقال لها الناصحية ، عامية معربة
بشخانة ، أي بيت البهوض ، أو كما أخبرني بعضهم أنها بيت الحاجب

قال يعقوب : قال لي أبي : « فعدتُ إليه بحسابي ، فوالله ما زاد على التوقيع في الجَماعات أيامَ ضائتها وتخليدها . ثم قال : « متى تعزم على بلدك ؟ » ، قلت : « ياسيدي ! إنما أُنظرُ فيه إذْذاك ، فكل شيء لي مفروغٌ منه » ، فقال : « اجعله بعد صلاة الجمعة » ، قلت : « أفضل » . ثم قال لي : « تروح إلى لالفاك في حوائج لي ؟ » ، فعدتُ أن يحملني في الحوائج عُزْمَ الألف الدينار

فلما رحتُ إليه ، دخأتُ وهو خالٍ ، فقال لي : « إنك ترجع إلى بلدٍ قد يئس منك فيه أهله ، فأدخل الجارُ من جيرانك الخشبة في حائطك ، والجارُ في البستان قد تحيف حدودك ^(١) ، فهب لي ما بينك وبينهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وترى يبلدك جماعة قد ارتفعوا ، أبناءَ خاملين ، فلا تنهزم بدِقَّة ^(٢) أصولهم ، وانصريف ^(٣) عما كان عليه سلفهم . فإنه يزرع لك المقت في قلوبهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكرٌ لك بخير ولا شر » . قلت : « أفعل »

ثم أوتى إلى يعانقي ، قلت : « ياسيدي ! حوائجك ؟ » . قال : « هي ما عدته عليك ، إنك قد حلت مني بانبساطك محلَّ القرابة

(١) تحيف الشيء : قصه وأخذ من جوانبه وحافاته . رطافه

(٢) دقة الأصل : خسته ولومه

(٣) في الأصل . والصدق

الذي أسر بصوابه ، وَيُغْنِي زَكْلَهُ ، فَإِنْ حَزَبَكَ ^(١) أَمْرٌ فِي بَلَدِكَ
فَلَا تَعْدِلْ بِهِ عَنِّي ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ
« فأنصرفت عنه وأنا على غاية من الشكر »

محمد بن يزيد
ومسافر

١٧ - وحدثني محمد بن يزيد - وكان حسن التقشف ، سدياً
الراي - قال :

أُطْلِقَ جَمَاعَةٌ مِنْ حَبْسِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بِهِمْ ظَنَّةٌ
بِالتَّلَصُّصِ ، وَكَانُوا يَزُولُونَ كُورَةَ أَهْنَسَ . فَأَنَّى عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ
الْأَكْسِيَّةِ حَتَّى وَافَاهُ غَلَامٌ أَصْفَرٌ ، خَبِثُ الْمَنْظَرِ ، مَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ ،
مِنَ الْحَارِجِينَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، وَهَنَأَ بِسَلَامَتِهِ .
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَبْسِ كَمَا تَرَانِي ، وَمَا
مَعِيَ نَفَقَةٌ تَبْلُغُنِي مَنْزِلِي »

فَقُلْتُ لَهُ : « مَا أَصْلُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « مُسَافِرٌ » ، فَقُلْتُ لَهُ : « يَا قِيَّامُ
قَدَّمَ اللَّهُ فِي أُمُورِكَ وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي ظِلِّهِ » ، فَقَالَ
لِي : « يَا سَيِّدِي ! الْحَقُّ فِيمَا قُلْتَهُ ، وَالنَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالتَّوْفِيقُ
إِلَى اللَّهِ دُونَ خَلْقِهِ » . فَأَعَجِبَنِي جَوَابُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « كَمْ يَكْفِيكَ إِلَى
مَنْزِلِكَ ؟ » ، فَقَالَ : « دِينَارٌ » ، وَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا حَدَّثْتَكَ
بِمَنْسُوبِ رَحَاةٍ إِلَيَّ - يَلْفَافِعُ إِلَى حَتَّى أُمْسِكَ مِنْ رَمَقِكَ ،
وَيَسْتَبْرَأُ رَأْسَهُ »

فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهتسا بتسلط
رُجُلٍ من اللصوص - في جمع كثير ، على كثيرٍ من المواضع ،
وكثيهم الضياع . وكانت لى أسلاف^(١) بُسُطًا ونواحيها ،
فخرجت لِقَبْضِهَا فِي رُقْعَةٍ مِنَ التَّجَارِ ، قَدْ حَمَلُوا الْبَرْ وَالطَّيْبَ
وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْأَرْيَافِ . فَإِنَّا بِوَاحِي الْحَرَّةِ ، حَتَّى لَقِينَا قِطْعَةً
مِنَ اللُّصُوصِ ، فَسَاقَتْنَا بِأَسْرِنَا إِلَى مَوْضِعٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ الْمَارَّةِ ،
وَفِيهِ شَابٌ أَصْفَرٌ رَاكِبٌ فَرَسٍ ، وَمَعَهُ مِقْدَارُ خَمْسَةِ فَوَارِسَ ،
فَعَرِضَتْ الْجَمَاعَةُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ بَلَغَنِي ، فَتَأَمَّلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ « مَسَافِرًا » ،
فَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِي وَتَحَنَّنَ بِي^(٢) ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « أَخْطَا وَاللَّهِ
حَزْرُكُمْ^(٣) . هَذِهِ رُقْعَةُ شَيْخِي وَسَيِّدِي ، وَوَاللَّهِ لَادْخُلَ إِلَى
مِنْهَا شَيْءٌ » . وَسَارَ مَعَا حَتَّى أَخْرَجْنَا إِلَى الْأَمَنِ ، ثُمَّ قَالَ لِي :
« أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُ طَعَامِي . وَلَا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنِّي ، وَقَدْ وَاللَّهِ
يَاسِيدِي حَبَّبْتَ إِلَيَّ بِجَانِبَةٍ مَا أَنَا بِسَيِّلِهِ ، فَتَشَدُّكَ اللَّهُ كَمَا
جَعَلْتَنِي طَرِيقَكَ فِي الرَّجْعَةِ » . فَتَضَمَّنْتُ لَهُ ذَلِكَ

ودخل مدينة أهناس ، فشاع خبرُ ما أُولَانِي فِي النَّاسِ . وَكَانَ
الْمُتَقَلِّدُ لَهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ - يُعْرِفُ بِقَوْمٍ -

(١) الأسلاف : القروض ، جمع ساقف وهو القرض بغير فائدة

(٢) تحنى به احتنى ، وبالع في إظهار السرور والفرح به ، وأكثر
السؤال عن حاله

(٣) الحزور : التقدير ، حزر الشيء قذره بالظن

مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ ^(١) فَبَعَثَ إِلَيَّ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي ، فَقَالَ :
« قَدْ أَحْفَيْتُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا الْغَلَامِ ، فَرَأَيْتُهُ لَا يَرَى الْقَتْلَ ،
وَلَا هَتَكَ الْحَرِيمَ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَبْلُغُ
الْإِجْتِيَا حَ ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْفِرَ بَيْنِي وَبِيهِ ^(٣) ، فَإِنِّي أَوْثَمُهُ
وَأَكْرِمُهُ وَأَقْلُدُهُ سِيَارَةَ الْبَلَدِ » . فَرَجَعْتُ فِي حَاجَةٍ فَفُهِمَ إِلَيْهِ ،
فَالْقَيْتُهُ وَالْجَمَاعَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَدْبَتُ إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ ، وَأَعْلَيْتُ أَنَّ هَذَا
الرَّجُلَ صَحِيحُ الضَّمَانِ ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْأَعْمَالِ
إِلَّا أَنَسُ النَّاسِ بِهِ » . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى الْخُرُوجِ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : « نَحْنُ ! » . فَسَارَ مَعِيَ
حَتَّى إِذَا تَرُبُّنَا مِنْ أَهْنَاسٍ ، وَضَعَ حَبْلًا فِي عَقِهِ وَقَالَ : « ادْخُلْ
بِي فِي زِيِّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ » ، فَدَخَلُوا ، وَالنَّاسُ يَكُونُ
لَمَّا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمَدَايِةِ ، وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا مِنْ سَوَقِ
شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ تَخِيلَ السَّلْطَانِ . فَطَلَبَ فَفُهِمَ أَنَّ
يَقْبَلُ لَهُ خِطْبَةً ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَضَافَ أَصْحَابَهُ إِلَى فَهْمِ ،
وَأَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ رَاجِلًا . ثُمَّ فَقَدْتُهُ »

المقرئ وراعى
غم ١٨ - وَحَدَّثَنِي أَبُو حَبِيبٍ الْمَقْرِيُّ . قَالَ :

(١) الأثير : المحبوب المقرب المقدم على غيره

(٢) الاجتياح : الاستتصال والمضى

(٣) سفرين أشخاصين : سعى بينهما في الإصلاح

« ضاقتُ أحوالى ، فلم يبقَ لى إلّا جاريةُ أحبّها ، ومنزلاً أسكنه . فبعتُ المنزلَ بألف دينار ، وخرجتُ إلى مكةَ بالجارية ، فقلتُ لها : « يكون هذا المالُ فى وسطك » فكانت إذا نزلت فى منزلٍ حَفَرَتْ فى خَيمَتِها حَفِيرَةً ، وأودعتُ المالَ فيها وطَمَمَها ^(١) .

فإذا نُودِيَ بالرحيلِ أثارته وشدّته فى وسطها

قال : فاتَّفَقَ أَنْ رَحَلْنَا عَنْ مَثَلٍ ونَسِيتُ المالَ فى الحفرة ، فأخبرتُنِي الجاريةُ بذلك ، قال : فخارَ فِكْرى ، وطاشَ رُوعى ^(٢) ، ولم أدْرِ ما أعمل . ودخلنا مكةَ ، فحدَثتُنِي نَفْسِي بِبَيْعِهَا فلم يُطغنى قلبى . فلما رَجَعْنَا ونزلنا المَنَهْلَ الذى خَلَقَتْ فيه الكِيسَ ، رأيتُ صحراءَ ، وغلَامٌ على رايةٍ يرعى غُنَياتٍ له ، وأقبلتُ أدور وأنظرُ إلى الأرض ، فقال لى : « ويَنَحُّكُ أَمَا تَطْلُبُ ؟ » قلتُ شيئاً أودعته أرضُ هذا المَنَهْلِ ، فقال لى : « صفِّ لى » ، قلتُ : « كَيْسٌ أَحْمَرُ فيه مالٌ » ، فقال : « ومالٍ فيه إن دَلَلْتَكِ عليه ؟ » ، قلتُ : « نصفُه ! » ، قال : « هاهو ذاك فى الراية » . فلما رَأَى تَحْيِرِى فيه ، قام حتى أخرجهُ ووضعهُ بين يَدَيَّ ، فحمدتُ اللهَ ، وقسمتُ الكِيسَ قسَمَيْنِ وخيرته أحدهما ، فقال لى : « إني أرى قِسْمِى مِنْهُ كَثِيراً . وأنا أَكْتَنِ بنصفِ أحدِ القسمَيْنِ » ، فقسمته بقسَمَيْنِ ، فقال : « تَقْسِمْهُ أيضاً بقسَمَيْنِ » ،

(١) طم الحفرة : كبسها ، بالتراب

(٢) الروع : القلب

فعلتُ ، فقال : « ما أعجب أمرك ! أترُكُه كله حراماً ، ونصفه
 حلالاً ، وأخذ منه شيئاً ! هذا مالا يكون ، أنصرف بمالك » .
 فقلت له : « يا غلام ! أنت حرٌّ أو عُلوك ؟ » ، فقال : « ملوك » ،
 فقلت : « لمن ؟ » ، فقال : « لشيخ هذا الحى »

فدخلت الحى فألقيت الشيخ والناس عنده ، فقلت له : « رأيتُ
 غلاماً فى المنهل يرعى غنيماتٍ وأسألك أن تبيعنيه » ، فقال :
 « اشتريته بعشرة دنانير » ، فقلت : « أنا آخذه بعشرين » ، فقال :
 « إن لم أبيعُه ؟ » ، قلت : « أعطيك به ثلاثين ديناراً » ، فقال لمن
 حوله : « أما تسمعون ما يقول ؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا
 الثمن ؟ » ، فقلت : « جمع على ضالة » ، فنذرتُ أن أُعتيقه وأتباع
 الغنم يرعاها له ، وأعلِّكه إياها » ، فقال : « نذرتُ أن تفعل به
 هذا لفعلَةٍ واحدةٍ من الجليل أولاً كَها^(١) ، ولنا فى كل يوم منذ
 ملكناه حسنة تقتضى أكثرَ مما نأتيه له ؟ وأنا أشهد الجماعة أنه
 حرٌّ لوجه الله ، وأن ما رعاه له »

فانصرف عن الشيخ وقد بلغنى ما ملَّته له

١٩ — وقلت يوماً لأحمد بن محمد المعروف بابن أبي عصمة
 وابن طغان كاتب أحمد بن طغان — وكان لي صديقاً مصافياً — : « قد كثر الناس

(١) أولاد الجليل : نعله ابتداء من غير مكافأة على جميل سابق

في إصابتك ^(١) مع ابن طعان ، ، فقال : « ما أخطئوا في التكثير ، وكان صاحبي ستمحا ^(٢) ؛ ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون ألف دينار ، فسأله عن تلك الجهة ، فقال : « كان لا يُمِسُّكَ مالا ، ولا يعتدُّ ذخيرة ^(٣) ، فقال لي يوما : « لم يُصبح في حاصلي درهمٌ واحد ، فاستسلف لي شيئا أنفقته . فضيتُ إلى منزلي فحملتُ إليه ألف دينار . فلما وضعتها بين يديه ، فتح الكيس وقلب مافيه ، فلما رأى الدنانير صحاحاً جيدة ، قال : « ما هذه دنانير صيرفي ، فحياتي بمن أخذتها ؟ ، فقلت له : « كانت عندي ، ، فقال : « ما ظننت هذا موضعك ، ، وسكت

وكان له في كل شهر ألف دينار نُزْلٌ ^(٤) ، فجئته به عند استيجابه إياه ، فقال لي : « ما هذا ؟ ، ، قلتُ : « النزل » ، فقال : « آقضى به دنانير الرجل . ثم جئته به مرة أخرى بنزل الشهر الثاني ، فقال : « اصرفه إلى الرجل » ، قلت : « قد قضيتُهُ » ، فقال : « اصرفه إليه كما أمرك . فلم يزل يفعلُ بي هذا حتى مضى ثلاثون شهرا حصلتُ فيها ثلاثين ألف دينار »

(١) كثروا في إصابتكم معه ، أى : أكثروا وتزيدوا في تقدير ما استفاد

من الأموال

(٢) السمع : الجواد السخي السهل المعطاء

(٣) الذخيرة : ما يدخره الرجل ويحفظه . واعتقدها : أمسكها وجمعها

وكأنه عقد عليها عقدة

(٤) النزل : رزق العامل وأجره - (المرتب)

٢٠ - حدثني هرون بن سألول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرَّارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ، فأتى النِّعمة ، سَمَّحَ النَّفسُ ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجَرَائياتٌ ^(١) واسعةٌ على ذوى السَّترِ بالفُسطاطِ . فهُربَ من التَّوَكُّلِ رجلٌ - كَتَّى عن اسمه - خطيرُ المَنزلةِ ، لميلِ كان من المتَّصِرِ إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوفٍ ، فأتتهى به المسيرُ إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، غاف أن يُعرَفَ فنَزَعَ إلى أريافها ^(٢) ، فأتتهى به المسيرُ إلى ضياعِ النَّصرانيِّ ، فرأى فيها منه رجلاً جميلَ الأمرِ . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أنَّ الاختلالَ ^(٣) انتهى به إلى ماظهر عليه ، ففسَّرَ هَيَأْتَهُ . وفوض إليه شيئاً من أمره ، فأحكَمَه فيما أَسَدَّ إليه واضطَّلَعَ به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصرانيِّ ، يفضَّلُ كلَّ ما ذَهَبَ له .

وورَدَ على النصرانيِّ مُسْتَحْتٌ بِحَمَلٍ مالٍ وَجَبَ عليه ، ^(٤)

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لا تنقطع

(٢) نزع إل الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) احتل الرجل : افتقر واحتاج ، والحلة : الحاجة والفقر

(٤) المستحت : الذي يستحقه ويستعمله .

[وسأله] النصراني عن خَبَرِ الناسِ بالفُسْطاطِ ، فقال : « ورد خَبَرُ قَتْلِ المتوكل وتغلُّدِ المنتصر ، ووَاقَى رسولُ من المنتصر في طلب رجل هَرَبَ في أيامِ المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوْعِزُ إلى عمّالِ مصر والشام بأن يتلقَّوه بالتَّسْكِرَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحقَ أميرَ المؤمنين في حالِ نُشْيِهِ محَلَّهُ عنده »

فعدل النصراني بالمستحيث إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جَزَاءَكَ ا فقد أولَّيتَ غَايَةَ الجليل ، وأحتاج إلى أن تأذنَ لي في دُخُولِ الفُسْطاطِ » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقْصَرْتَنِي ^(١) فَأَحْتَكِمْ في مالي ، فإنِّي لا أَرُدُّ أَمْرَكَ ، ولا أزيلُ عن حُكْمِكَ ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفُسْطاطِ ، وقد خلَّفتُ سُمْلًا جمًّا ونعمةً واسعةً ، وإنما عدَلْتُ بي الخوفَ على نفسي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالمالُ في يدك ، وما عندك من الدوابِّ فأنتَ أعرفُ به منِّي ، فأحْكَمْ فيه » ، فأخذَ بغالا وما صلحَ لثله ، وخرجَ النصراني معه ، وقدمَ كتاباً إلى حاملِ المعونة ^(٢) من مُسْتَقَرِّهِ ، فتلَقَّاه حاملُ المعونة في بعضِ طريقه ، ووصَّاه وجميعَ العُمَالِ بالنصراني . وصار إلى الحضرة ، فأصدر إليهم الكُتُبَ في الوصاية به ؛ إلى أن قدم بعضُ العمالِ المُتَّجِرَةِ ، ^(٣)

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) حمل المعونة كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يحملون سلطان عملهم تجارة ، فيطلبون الناس

لينكسبوا منهم

فتبع النصراني ورام الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدثه ، : أنه
دخل بغداد فلم ير بها أوفى محلا وأكثر قاصداً منه
« ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثر غلماناه حتى
استقبلوني ، فلما رأني قام على رجله ثم قال : « مرحباً بأستاذي
وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكب
عليّ ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار .
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مساء في » . فكتب من مجلسه
كتاباً إليه بجليّة الخبر وأنفذه . وأقتُ عنده حولا في أرغد عيشة
وأعظم ترّفه . وورد عليّ كتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل
عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري ، وأخرج أمر السلطان
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي على يسير من مالها ،
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة ^(١) أشهد فيها علي
نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده . وسماها وحدّدها .
عند الرجل الذي كان هرباً ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد
سوّغت الله . هذه الضياع » ^(٢) فإني أراك أحق بها من سائر الناس » :

(١) الحجّة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوّغت الشيء . أي . جعلته . سائغاً سهلاً

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّنُ
ذكرك ، وتُرَدُّ الأضغانَ عنك ، ولست أقطعُها بقبض هذه
الضياع عنك »

ورجع النصراني إلى الفسطاط لمجدد الشهادة به فيها . فلما
تَوَقَّى النصرانيَ أقرَّها في يد أقرابه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :
« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنَّى الفضل بن سهل
وأجراه بُحْرَى الوَلَد - ونظر إليه ولده بعين الآخر لهم - . فضمه
إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ،
والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما تَوَجَّهَ النجوم في مُدَد البرامكة ^(١) ،
وتبيَّنا سعادةً تنتهي إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما
كالشاهد لما آتَتْهُ إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتصم الفضلُ بِمَحَلِّهِ من خِدمة
المأمون ؛ وكانت يده تَعِجْزُ عما يُصْلِحُ يحيى وولده عند الرشيد ،
فوجه إليه : « سيدى ا قد كَرَّبْنِي أَمْرُكَ ^(٢) ، ولستُ أُصِلُ إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كربه الأمر : ضيق عليه الكرب وتددته

حَسَنَ النَّفَاعِ عَنْكَ ، فَأَحِلَّ ذِمَامَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ ^(١) ؛ فَإِنِّي أَرْجُو
 أَنْ أَفْضِيَهُ عَنْكَ عِنْدَ آتِهَائِي إِلَى سَعَادَتِي ،
 قَالَ آبَن أَبِي يَعْقُوبَ : لَخَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْإِحْوَالُ ،
 قَالَ : « أَتَّصَلَ بِي مِنْ ضَيْقٍ يَحْيِي مَا كَدَّرَ عَيْشِي . وَذَكَرْتُ
 إِحْسَانَهُ إِلَيَّ ، وَحَسَنَ صَلِيحِهِ بِي ، فَضَاقَ بِي الْقَرِيبُ . وَوَجَدْتُ
 مَا لِمَلِكِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ ، وَحَلْتُ أَحَدَهُمَا ،
 وَتَوَصَّلْتُ إِلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِمْ فِي تَحْيِيهِمْ ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيَّ يَحْيِي
 ابْنُ خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : « أَيْسَ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَعْرَكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ،
 وَلَا أَنْ نَعِدَّكَ عَنَّا مَا لَا تَبْقَى بِهِ الْيَوْمَ لَكَ ، وَقَدْ انْتَهَى أَمْرُنَا ،
 فَإِنْ كُنْتَ تُقَدِّرُ أَنْ أَحْوَالَنَا تَصْلُحُ فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ مَا لَكَ » ،
 فَقُلْتُ : « مَا ذَهَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِقَضَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ عَنِّي . فَأُخَذَ
 بِيضَاءً ^(٢) فَكُتِبَ فِيهَا : « يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَيْدِكَ اللَّهُ هَذَا رَجُلٌ
 خَلَّصَ عَلَى تَجْرِيبَتِنَا ^(٣) ، وَاحْسَنَ بِنَا مَعَ اسْتِحْكَامِ يَأْسِهِ مِنَّا ، وَأَنَا
 أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ ، وَأَرْغُبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَنِّي ، وَتَخْفِيفِ ثِقَلِهِ
 عَلَيَّ » ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَوْنَكَ ، وَكَفَاكَ مَا أَعْجَزَكَ . ثُمَّ تَنَاهَا وَقَطَعَهَا
 عَرْضًا بِقَطْعَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي : « احْفَظْ هَذَا النِّصْفَ مَعَكَ ، وَلَا
 تَقْرُطْ فِيهِ فَيَفُوتَكَ حَظٌّ كَبِيرٌ » ،

(١) الذِّمَامُ : الْعَهْدُ وَالْمِثَاقُ ، وَأَحْلَى الذِّمَامُ : جَعَلَهُ حَلَالًا لَا يُلْتَزَمُ
 عَهْدُهُ وَشَرْطُهُ

(٢) يَرِيدُ : وَرَقَةً بِيضَاءَ

(٣) خَاصٌّ عَلَى التَّجْرِيبَةِ ، أَيْ : تَبَيَّنَ إِخْلَاصُهُ بَعْدَ التَّجْرِيبَةِ وَالْمِحْنَةِ

ثم فرق ذلك المالَ في قوم ضَعُفَتْ أحوالُهم بما لحِقَه ، وانصرفتُ من عنده وقد آتَيْتَنِي من رجوع حاله ، وأعطاني نصفَ رُقْمَةٍ لا أَتَق على ما تُوصِلُ إليه . وَتَقَضَى أمرُهم ^(١) ، ومات الرشيدُ بَطْلوس ، وغلب الفضلُ بن سهلٍ على المأمونِ بِخِراسان ، وخلفه على جميع أمره ، وشَجَرَ الأمرُ بين الأمين والمأمون ^(٢) ، فظهرَ المأمون عليه ^(٣) ، وصَحَّت وزارة الفضل ابن سهلٍ للمأمون ، ووردت بِإِدْرَةِ المأمون ^(٤) بذلك إلى سائر النواحي . وطالت عُنْطاي ، واشتَدَّتْ فاقتي ، وقعدت من كان يُؤَرِّفني وينحاشُ إليَّ ^(٥)

فإني لجالس في منزلي - في يوم قد أعوزني فيه قوتُ يومى ، وعلى ثوب خَأَق ، وليس لى إلا خِلْعَةٌ أركبُ فيها - حتى دخل إلى غلامى فقال : « بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين » ، فلبستُ ثيابَ رُكوبى ، وأذِنتُ لهم ، وتقدّمهم رئيسُهم فبيّلتُ إعظامى فى نفسه ، فقال : « الأميرُ طاهرُ يسألك المسيرَ إليه » . فقهضتُ ، فلما دخلتُ قدّمتى وأعظمتى وقال : « ورد كتابُ الوزير أَيْدَهُ الله على فى حملك إلى حضرته على حالٍ تَكْرِمَتِهِ ، ومعك

(١) قضى أمرهم : انتهى واتقضى

(٢) شجر الأمر بين الصديقين : إذا اختلفا وتنازعا وتشاجرا

(٣) ظهر عليه : غلبه وفاز به

(٤) البادرة : أوائل من يأتي بالآخبار والبشرى

(٥) انحاش إليه ، يريد : اكترث له . أو اجتمع إليه

نصفُ الرُّقعة التي دفعها إليك يحيى بن خالد، وأمرني بدفع أُنْفَى دينار إليك لحُمولتك ومُخْلَفِكَ^(١)،

فَقَوَّيْتُ نَفْسِي، وانفَسَحَ رَجَائِي، وخرجتُ بعد قبْضِ المال مع رسول طاهِرٍ . فلما دخلتُ إلى الفضل بن سهل، لقيني بأَجْمَلِ لقاء، وسألني عن نصف الرُّقعة فأحضرْتُها، ثم أَسْرَ إلى بعض خاصَّته شيئاً، ففضى، وجاء برُقعة فوصلها بها فكَمَلْتُ، فلما استتمَّ قراءَتُها بكى، ثم قال: «رحم الله أبا العباس! فما كان أعرَفَه بِتَصَرُّفِ الأيام، واستدعاءِ الشُّكْرِ فيها، والتَّحْذِيرِ مِنَ الذَّمِّ بها!»^(٢)

ثم أَدخَلَنِي إلى المأمون، ووَآكَدَ أَمْرِي عنده^(٣)، حتى بَلَغْتُ معه إلى أَخْصِ أحوالِ كتابه، وَمَنْ وثِقَ بِهِ في مُهِمِّ أَمْرِهِ،

على المتطلب ولد أفلاطون ٣٣ - وحدَّثني عُلِّيُّ المتطَلِّبُ المعروف بالديدان - وكان حسن المعرفة بكتب أفلاطون ورُمُوزِهِ، ومبَرِّزاً في الطَّبِّ -، قال:

«خرجت مع رجل - يُعرف بابن بروخ - من قواد السلطان إلى

(١) الخوَلَةُ ما يحمل عليه القاعد من الدواب، والمُخْلَفُونَ، يريد:

أَهْلَهُ الَّذِينَ يَخَافُهُمْ وَرَأَاهُ

(٢) تَحْذِيرُ الذَّمِّ - تَحْذِيرُهُ عَنْهُ وَتَأْخِرُ

(٣) وَآكَدَهُ وَوَكَّدَهُ: أَوْثَقَهُ.

طرُسوس ، ففتم سَنِيَا كَثِيرًا ^(١) ، وكان السَّبِيّ في دار خرابٍ في
الموضع الذي نزل فيه ، فدخلتُ لتأمله ؛ فوجدتُ في السَّبِيّ شابًا
حسنَ الصورة جميلَ السَّمتِ ^(٢) ، وأكثرُ السَّبِيّ حوله ، ومكانهُ
منهم مكانُ المولى من الممالك : يقسِّرون إلى جميع ما أُوحي إليه ،
ويكفون أخذَه بنفسه . فكلّمتُ فيه بعض السَّبِيّ وسألته عنه ، فقال
لي : « هذا من ولد أفلاطون ! » ، فارتحتُ إليه لا تتفაცი بجدّه ،
ودخلتُ إلى ابن بروخ فقلت : « هب لي من هذا السَّبِيّ غلامًا » ،
فقال لي : « خذْه » .

فدعوتُ بغلامٍ يشتمل على أمرى ^(٣) ، ووصفتُ له الشابَّ
الذي في السَّبِيّ ، وقلتُ له : « إذا سلَّه إليك غلامُ ابنِ بروخ
فأطعمه بما أعددتَ من طعامي ، وألبسه من فاخِرِ ثيابي ، وطَيِّبه
ومكَّنه من مجلسي إلى أن أنصرفَ إليكم » . وتشاغتُ بأمر ابن
بروخ إلى آخر النهار ، وأنصرفتُ ، فوجدتُهُ على الهيئة التي
آثرتها ، ورامتُني ما يفعله غلمانِي من الوقوف ، فنتعته من ذلك ،
فقال لي بالرومية : « ياسيدي ! ما الذي وعدتُك به نفسك مِنِّي ؟
فإن كان عندى بذلُّه لك وكنتَ حقيقًا به ، وإن لم يكن لدى
صدَّقْتُك عنه ، ولم أتنمَّ منك ما لا يشبهني تغنُّمه ^(٤) » ، فقلتُ له :

(١) السبي : الأسرى من العدو

(٢) السمت : الهيئة والمنظر والحركة

(٣) يشتمل على أمره : يخدمه في جميع أمره وبحوطه

(٤) تغنم الشيء : طلب أن يجعله غنيمة بغير جهد

« قد اقتبسنا من جدك أنواراً أحسن بها أثره علينا ، ووجب علينا بها وقايتك بأنفسنا ، ، فقال : « والله إن الطبايع التي لاسلافنا معنا ، ولكننا شغلناها في رعي الخنازير ، فبعدتُ بها ممن قرَّبْتُني له ، ، وأكرمتني بسببه »

تغيرته بين الدخول معي إلى مصر ، على أن أشاطره ملكي وعيشي ، أو أحتالَ له في رده إلى بلده ؟ فاختار رده إلى بلده . فلفطتُ له ^(١) - بإفناذ بعض من أثق به مع الرُّسل المتوجهين معه - حتى وصل إلى بلده ،

محمد بن سليمان والمؤلف ٣٣ - وكانت تنساب مجازاً ^(٢) مجوزاً جميلة المذهب ، ضعيفة الحال - تُعرَف بآتم محمد - ، فيجتمعن على كل صالحة ، وكنت أخصها بكفايتها . فلما دخل محمد بن سليمان مصر ، نزل في ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ^(٣) ، فاستصنى ماله بالسوط وعظيم الإغاة ^(٤) ، فراغنى أمره ، وخفت أن يلحقني عصفه

(١) لطف له وبه . ترقق

(٢) أتاب القوم : إذا قصدتم ، وأقام مرة بعد مرة

(٣) الأسباب : المؤذات ، ويريد أصدقاء بني طولون الذين يمدون

إليهم بسبب

(٤) استصنى مال الرجل : استخلصه وأخذ صفوه ، واستخرج

أكثره

فإني جالس في يوم من الأيام وأنا خائف، حتى دخلت جارية
أم محمد العجوز، فسألت عليّ، فظننتها والله تَقْضِي بعض
ما عودتها، فقالت: «سيدتي أم محمد تقرأ عليك السلام وتقول:
«جاءني الساعة رسول ابن عمي وسيدى أبي عليّ محمد بن سليمان
يسأل عنّي فعرفته أني كنت في كفتائك»، والرسول على الباب
يرينغ الوصول إليك»، فقلت: «يدخل»

فدخل شاب حسن الصورة يُعرف بناثي، فقال: «جزاك
الله خيراً! فقد وصفتك أبنه عم سيدى بما أرجو أن يحسن أثره
عليك». ودعا بأصحاب الأرباع، فتقدم إليهم بأن يمتنعوا من
تعرّضني، فعرّضت عليه برّاً فقال: «وأى برّ أكثر مما أتيت
إلينا؟»، وانصرف عنا

فرجع إلى ناثي هذا برقة بخط ابن سليمان: «سر إلينا لتظفر في
أمرك، ونبلغ فيه حبّتك، فإني أرعى لك متقدّم حُرمتك، ووَكيدة
أسبابك، إن شاء الله». وما لحقني منه شيء أكرمه حتى انصرف
عن البلد

٢٤ - وكان أبو الفياض سوار بن أبي مُرّاعة الشاعر صديقاً ابن أبي شراعة
والمؤلف لي، وماتلاً إليّ، فلما اعتزم على الرجوع إلى العراق، سألتني أن
أكتب له شيئاً من شعري، فكتبت له مقدار خمسين ورقة منه،
وكان يستحسنه ويُعجّب به. فصار إلى بغداد وعرضه على جماعة

الاحرار^(١)، وأحسن وصفي لم بسلامة مذهبه، وطهارة نيّته
ودخل محمد بن سليمان مصر، وقد رُدّ البريدُ بها إلى
أبي عُبَيْد الله أحمد بن صالح، فسأله عند دخوله إياها عن أحمد
ابن يوسف، فأحضر أحمد بن يوسف - كاتباً كان لأحمد بن
وصيف، ولآبَن الجصاص بعده -، فقال له: «تعرف
أبا الفيّاض؟»، قال: «لا!»، فقال لم: «ليس هذا الرجل
الذي طلبتُ»، فأحضرتُ، فلما رآني استَشَرَفَ إلى^(٢)، وقال:
«تعرف أبا الفيّاض؟»، قلت: «ذَكَرَكَ اللهُ وإياه بكلِّ
صالحةٍ! نعم أعرفه، وكان خِلاًّ لي!»، فقال: «هل أنشدَكَ
من شعره؟»:

ظَلَلْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلُ الدِّنَّ صَفْوَه

فَيَسِّرُ أَقْبَاسًا بِغَيْرِ كَهَيِّبِ .

قلت: «لا ياسيدي! ولكنّي أنشدتهُ إياه من شعرى!»،
فضحك وقال: «والله لقد اشتَقْتُ إلى الدخولِ إلى مصر من
أَجْلِكَ!»، وكان والله أفضلَ عَوْنٍ لي على أمورِي

• • •

٢٥ - وحدّثني أحمد بن سقلاب، قال:

«كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الإِسْمِ، وله حَلَقَةٌ

علائق بن
المغيرة وقيّة

(١) الاحرار: الانشراح والافاضل، جمع حر

(٢) استشرّف إليه: تطاول وتطلع إليه، ثم خرج إلى لقائه

عظيمة بالجامع . فينأمر في صدرها إذ رَأَى عِلَّانَ بنَ المَغيرة ^(١) ،
فلما رآه مقبلاً نحوه قام إليه على رجله ، ثم خطا إليه حتى لَقِيَهِ .
فأكثرت الجماعةُ قيامَ شيخٍ مثله إلى حَدِّثٍ ^(٢) مثلِ عِلَّانَ ،
وتحَفَّيه به ، وعرض نفسه عليه ، وأنه لم يدع شيئاً يفعلُه تابع
بمتبوع إلا بَذَلَه ، وأسرَرْنَا الموجدَةَ عليه ^(٣) . فلما قام عِلَّانُ
قال لجماعتنا : « ما أعلنى بما أضمرتم ! ولكني أريكم عُذْرِي فيما
خرجتُ إليه :

« كانت عندى ألف دينار وديعةٌ لرجلٍ بالمنزلة قد طال مُقامها ،
وطالب زوجُ ابْنِي بِإِدْخَالِ امرأته عليه ، جلستُ أمُّها بِحَضْرَتِي
فقلت لى : « ما الذى تراه فيما قد ألحَّ فيه هذا الرجل ؟ » ، فقلت
لها : « نستعمل فيه التجوُّز » ^(٤) ، فقالت لى : « لنا حُسَادٌ نخاف
شماأتهم ، ولا بُدَّ من أن تُعَيِّنِنِي على التَّجَدُّلِ » ، فقلت : « إنَّ كان
ما تُريدِينَ فى قدرتى لم أبخلُ به عليكم » قالت : « هو فى قُدْرَتِكَ ! »
قلت : « ما هو ؟ » ، قالت : « تمكِّنُنِي من هذه الوديعة ، ونحتاط
فيما نبناه من الجَهازِ حتى يصل إلينا تَمَنُّهُ فى أىِّ وقتٍ أردناه ،
ونُدْخِلُ هذه الصَّيِّةَ على زَوْجِها . فإن جاء صاحبُ الوديعة بِغُنا

(١) فى الأصل : « ابن عِلَّان بن المَغيرة » . ثم ذكره فقال . « عِلَّان »

(٢) الحديث : الحديث السن الصغير

(٣) الموجدة : الغضب المكتوم

(٤) التجوُّز : التساهل

ما آشريناه ولم نُوصَحْ فيه ^(١) إلا ما يسهل علينا غُرمه ، قلت :
« هذا قبيح عند الله وعند خلقه » . فلم يزل يُبْلِغُ بِي ويَحْتَالُ
عليّ ، حتى أجبتها . فجهرتِ آبتُها بجميع المال ، وأدخلتها
على زوجها

فلم يمض بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحبُ الوديمة
يطلبها ، فقلت لها « ما فعلين ؟ » ، فقالت : « أَمْضِي فَأَحِلَّ الْمَنَاعَ
وَأُيْعِه » . فمضتُ إلى ابنتها ورجعتُ إلى ، فقالت : « لَا تَشْقَلْ نَفْسَكَ
بهذا المناع ، قد حَلَفَ زوجها بطلاقها أنه لَا يَخْرُجُ منه شيءٌ
عن منزله » ، فُسِقَطَ في يَدَيَّ ^(٢) ، ورأيتُ الفضيحةَ في الدَّارَيْنِ
متصدِّبةً لي : فَوَضِعَ إِنْطَارِي بَيْنَ يَدَيَّ فلم أَطْعَمْ ، وَاعْتَرَانِي
ما خَفْتُ منه على عَفْلِي ، وَبَثَّ بِلِيلَةٍ مَا بَثَّ بِمِثْلِهَا . وَأَنَا أَتَبَيَّنُ سَهْوَةَ
ذلك على زوجتي في جَنْبِ مَا أَحْرَزَتْهُ لِبَنَتِهَا . ثُمَّ أَتَبَهْتُ قَبْلَ
الفجرِ بِمَنَازِلَ ، فَصَحْتُ بِالْغَلَامِ « أَسْرِجْ لِي : » ، فَصَامَ ^(٣)
وَأَسْرِجَ ، وَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَبْنِ تَمْضِي » ، فقلت : « لَيْسَ
لَكَ الْاعْتِرَاضُ عَلَيَّ »

وَرَكِبْتُ وَبَرَزْتُ طَارِعَ عَنَافِي ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ يَسِيرُ حَتَّى دَخَلْتُ

(١) أَوْضَعَ فِي الْمَاءِ (بِالْيَنَاءِ لِلْجَهْلِ) : وَكَسَ وَغَرَنَ وَخَسَرَ

(٢) سَقَطَ فِي يَدَيَّ ، بِالْيَنَاءِ لِلْجَهْلِ : إِذَا زَلَّ الرَّجُلُ وَأَخْطَأَ فَتَدَمَّرَ

عَلَى مَا قَرَأْتُ

(٣) أَسْرِجْ لَهُ : أَمْزِجْ عَلَى الدَّابَّةِ سَرَحَهَا

ذُقاقُ علان بن المغيرة ، فوقفتُ على باب داره ، وصاح الغلام
 بالبواب وعرفه بموضعي . فسمعتُ حركة في داره ، ثم فُتِحَ الباب
 وأُذِن لي بالدخول . فدخلتُ عليه ، فوجدتُ بين يديه شِمةً وهو
 يكتب جواباتٍ كتبٍ وكَلالته . فلما رآني قام إلي ، وقال لمن
 حضره من الغلمان ، « تَنَحَّوا ! » ، وأقبل علي فقال : « والله لو
 بعثت إلي لسرتُ إليك ولم أجتشمك السقي إلى ، فأشرح لي أمرك » ،
 فغلبتني العبَّرةُ وحالت بيني وبين الكلام ، فما زال يُسَكِّنني حتى
 نَصَصْتُ له إنفاقَ الوديعة ^(١) ، وهو مغمومٌ بأمرى . ثم قال :
 « فكم هذه الوديعة ؟ » ، فقلت « ألفُ دينار ! » ، فضحك ، وقال :
 « فرَّجت والله عني ! ما توسَّمتُ أني أملكها ^(٢) ، فكان الغم يقع
 بها ، فأما وهي في القدرة فما أسهلها علي ، وأخفها لدى ! » ، ثم قال
 لغلامه : « جئني بتلك الصَّرار ^(٣) التي وردت علينا من المغرب في
 هذا الشهر » ، فجاء بأربعِ صراري فنظرَ فيما عليها وجمعه وقال :
 « هذه ألف دينار وخمس مائة دينار ، ألفٌ للوديعة ، وخمس مائة
 تصلح بها ما بينك وبين من عندك » ، ثم قال لي : « متى أشكر
 لإفرادك إياي - بعد الله عز وجل ذكره - بتأميلي في حادثة
 حدثت عليك ، فأعاني الله على مكافأتك ؟ » . وأضاف إلي من
 حَقَرَنِي إلى منزلي .

(١) نصر الحديث إلى فلان : رقبه إليه وأظهره

(٢) توسم الشيء : توهمه وتخيله

(٣) الصرار : جمع صرة ، وهي التي تصرفها الدراهم

قالت الجماعة: «قد سمعنا عُذْرَكَ، وعلينا عهدُ الله إن لقيناه.
أبدأ إلا قياماً»

الطالبي ووالد
المؤلف

٣٦ - وبعثَ أحمد بن طولون - في الساعة التي تُؤْتَى فيها
يوسف بن إبراهيم والدي - بخَدمٍ فَهَجَمُوا الدَّارَ^(١) ، وطالبوا
بكتبه : مقدِّرين أن يجدوا فيها كتاباً عن بيغداد. فحملوا صندوقين
وقبضوا علىّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره . وأدخلنا إليه وهو
فيها جالس ، وبين يديه رجل من أشرفِ الطالبيين . فأمر بفتح
أحدِ الصندوقين ، وأدخل خادمٌ [يَدُهُ] ، فوقع دفترُ جرياته
على الأشرافِ وغيرهم . فأخذ الدفترَ بيده وأصفَّحه - وكان جيِّدَ
الاستخراج - فوجدَ اسمَ الطالبي في الجِراية ، فقال له وأنا أسمع :
« كانت عليك جِرايةٌ ليوسف بن إبراهيم ؟ » ، فقال [له : « نعم !
أيها الأمير ! »] ، دخلتُ هذا البلد وأنا مُملِّقٌ^(٢) ، فأجرى عليّ في
كل سنة مائتي دينار ومائتي إردبٍ قمح ، أسوةً بابني الأرقط
والعقيقي وغيرهما . ثم أمتنتُ يدَيَّ بطولِ الأمير^(٣) فاستعفيتُ
منها ، فقال لي : « نَشَدْتُكَ اللهَ إن قطعتَ سبياً لي برسولِ الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم ! » ، وتَدَمَّعَ الطالبي^(٤) ، فقال أحمد بن

(١) هجم الدار : دخلها بغتة بغير إذن

(٢) أملتُ الرجل فهو قتيير

(٣) امتنتُ يده بكذا : اتصلت . والطول : الفضل والإحسان

(٤) تدمع : أي سالت دمعته وبكى ، ولم يوجد في اللغة ، ولكنه

كثير في كتب عصر ابن طولون

طولون : « يرحمُ الله يوسف بن إبراهيم » . ثم قال لنا : « انصرفوا
إلى منازلكم ، لا بأس عليكم ،
فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضرنا العلوى وقد أحسن
مكافأة والدنا في مُحلفيه

٢٧ - وحدثني موسى بن مُصلح ، قال :
أنفذ إلى حسن بن مهاجر - كاتب أحمد بن طولون - عشرة رجال
من التجار ، وقال : آتَيْتُهم بِمَمْرٍ عن المسجونين ، حتى أهرِضهم
في غَدٍ على الأمير . فتلست منه قوماً تشهد لهم القلوب بالفضل ،
فَأَنسَتْ وَحَشَتَهُمْ ، وَفَسَحَتْ رِجَاءَهُمْ . فقالوا لى : « قد شكرنا جميلَ
صَلِيْعِكَ ، وَلَنَا إِلَيْكَ حَاجَةٌ » ، قلت : « ما هى ؟ » ، قالوا : « فِينَا
قَتَّى يَضْعُفُ قَلْبُهُ عَنْ لِقَاءِ الْأَمِيرِ ، فَتَقْبَلُ مِنَّا بَدَلًا بِهِ ، وَلَكَ عَلَيْنَا
مِائَةُ دِينَارٍ » ، قلت : « أَنَا أَفْعَلُ ، إِنْ وَجَدْتُم مِّنْ يُجِيبُ إِلَى هَذَا » .
- وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ كَالْمَتَّعِ - : فَأَخَذْتُ شَيْخَ مِنْهُمْ رُقْعَةً وَكُتِبَ فِيهَا إِلَى
رَجُلٍ كَانَ قَدْ أَوْلَاهُ عَارِقَةً ، فَسَأَلَهُ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ : « إِنِّى
يَاثِرُ رُقْعَتِى » .

قال موسى : « فَتَوَقَّعْتُ أَنَّ هَذَا قَوْلٌ لِأَمْرَةٍ لَهُ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ حَتَّى
وَأَقَى فَقَالَ : « مَا أُخْرِجُ عَنْكَ إِلَّا أَنِّى جَدَّدْتُ وَصِيَّةً ، وَأَحْكَمْتُ
مَا خِفْتُ أَنْ يَقْطَعَنِي عَنْهُ مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ » ، وَقَالَ : « لَسْتُ أَجِيبُكَ
إِلَّا مَا التَّمَسْتُ » ، حَتَّى تَكُونَ الْمِائَةُ الدِّينَارِ مِنْ عِنْدِي دُونَ جَمَاعَتِكُمْ » ،

وأخرجها من كُفّه ودفعها إلى ، وصرفتُ الرجل . وأقامَ هذا مكانه ، فلم أتيّن منه غمّاً بهذا ولا قلقاً له . وظلّوا إليّهم يتحدّثون ويتناشدون ، والسلامةُ غالبيةٌ على خواطرهم ، حتى أصبحوا . وأخرجهم حسن بن مهاجر فعرضهم على أحمد بن طولون ، فتبيّن تحامّله عليهم ، فأمره بترك التعرّض لهم . فأنصرفوا . وكانت أظنانهم تردّ علىّ حتى تقدّتهم ،^(١)

٢٨ - وحدثني أحمد بن أيمن كاتب أحمد بن طولون ، قال : « دخلتُ بالبصرة إلى تاجر ذهب عنى اسمه ، فرأيتُ بين يديه ابنين له في نهاية من النظافة ، فلما رآني أقبل بنظري إليهما ، قال لي : « أحبّ أن نعوّذهما^(٢) ، ففعلتُ ، وقلتُ له : « استجذتُ الأمّ فحسنَ نسلكي ، فقال : « ما بالبصرة أقبح من أمّهما ، ولا أحبّ إليّ منها . ولها معي خبر عجيب ، فسأله أن يُحدّثني ، فقال :

تاجر
وزوجته

« كنت أنزل الأبلّة وأنا متعيّش^(٣) ، فحملتُ منها تجارةً إلى البصرة فربحتُ ، وحمّلتُ من البصرة إلى الأبلّة فربحتُ ولم أزل أحل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر ، حتى كثر مالي ، وتعلّم الناس إقبالي . وآثرتُ السكّنى بالبصرة ، وعلمتُ أنه لا يحسن بي

(١) الأاطاف : جمع لطف ، وهي الهدية والتحفّة

(٢) عوّذه من العين والحسد ، قال : « أعبذك بالله وأسمائه من كل

دئ شر وكل داء وحاسد وعين ،

(٣) المتعسّس : الذي يتكلف أسباب المعيشة بالتدليل من العمل والتجارة

المقام بها بغير زوجة، ولم يكن بها أجل قدراً من جدّ هذين الغلامين . وكانت له بنت قد عَضَلَهَا ، ^(١) وتعرض لعداوة حُطابها . فحدثني نفسى بلفائه فيها ، فحسنته على خُلوة ، وقلت له : « يا عَمُّ ! أنا فلان بن فلان التاجر » ، فقال : « ما خفى عني محلك ومحل أبيك ! » ، فقلت : « قد جئتكَ خاطباً لا ببتيك » ، فقال : « والله ما بي عنك رغبة » ، ولقد خطبها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أجبتهم ، وإني لكاره من إخراجها عن حُضْنِي إلى من يُقَوِّمها تقويم العبيد » ^(٢) ، فقلت : « قد رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تُدخلني في عَدَدِكَ ، وتُخْلِطَنِي بِعَمَلِكَ » ، فقال : « ولا بد من هذا ! » ، قلت : « لا بد » ، وهو زائد في فضلك علي ، واصطناحك إليّ » ، فقال : « اغد عليَّ بِـجَالِكَ »

فانصرفتُ عنه إلى ملاٍّ من التجار ذوى أخطارٍ ، ^(٣) فسألتهُم (الحضور معي في غدٍ ، فقالوا : « إنك لتُحرِّكنا إلى سعي ضائع » ، قلت : « لا بد من ركوبكم معي » . فركبوا على رِقَّةٍ من أنه يرُدُّهم ، وغدونا عليه فأحسن الإجابة وزوجني ، وأطعم القوم ونَحَر لهم ، وانصرفوا

ثم قال لي : « إن شئتَ أن تبييتَ بأدملك فافعل ، فليس لها

(١) عضل المرأة : حبسها ومنعها الزوج

(٢) قوم السامة والعبد : قدر قيمتها في الشراء والبيع

(٣) الملا : الرؤساء وأتراف القوم ووجوههم . والاختار : جمع خطر ، وهو القدر والمزلة الرئية

ما يحتاج إلى التلوم عليه ^(١) ، فقلت : « هذا يا سيدي ما أحبه » . فلم يزل يحدثنى بكل حسن حتى كانت المغرب ، فصلاها بي ، ثم سبّح وسبّحت ، ودعا ودعوت ، إلى أن كانت العتمة فصلّاها ^(٢) بي ، وأخذ يدي . فأدخلني إلى دار قد فُرِشت بأحسن قُرْشِيَّة ، بها خدّم وجواري في نهاية من النظافة ، فاستقر بي الجالس حتى نهض ، وقال : « أستودعك الله ، وقدم الله لكما الخيرة ، وأحرز التوفيق » . واكتنفتني عجائز من شمله ، فجَلَوْنَ ابنته علي ^(٣) . فأتأملت طائلا وأرتحت الستور علينا ، فقالت : « يا سيدي إني سر من أسرار والدي ، كتمه عن سائر الناس وأفضى به إليك . وراك أملا لستره عليه ، فلا تُخفِرْ ظَنَّهُ فيه . ولو كان الذي يُطلب من الزوجة حُسْنُ صورتها دون حسن تديرها وعفّارها . لَعُظِمَتْ عِنتي . وأرجو أن يكونَ مَعِيَ منهما أكثرُ ما قَصَر بي في حُسْن الصورة ، ثم وثبت لجامتي بمال في كيس ، فقالت : « يا سيدي لقد أحلَّ الله لك مِئَةَ ثَلَاثِ حَرَارٍ وما آثرتُه من الإمام ^(٤) . وقد سَوَّغْتُكَ تزوجَ الثلاث وابتاعَ الجواري من مالِ هذا الكيس ، فقد أوقفته

(١) تلوم على الشيء : انتظر وتلبك

(٢) العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق . وهو وقت صلاة العشاء . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تسمية صلاة العشاء « العتمة » .
(٣) جلا العروس على بعلها يجلوها : زينها وصقلها وأدخلها عليه ، وذلك « جلوة العروس »

(٤) الحرار : جمع حرة ، وهي المرأة التي لم يجرعها الرق . فتكون أمة ، وهي المملوكة ، وجمعها إماء

على شَمَوَاتِكَ ، وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا شَتْرَى فَقَطْ ،
فَقَالَ لِي أَحْمَدُ : خَلْفَ لِي التَّاجِرُ : « إِنَّمَا مَلَكَتْ قَلْبِي لِمَكَالَمْ
تُصَلِّ إِلَيْهِ حَسَنَةً بِحُسْنِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : جِزْأُ مَا قَدَّمْتِيهِ مَا تَسْمَعِيهِ ^(١)
مَنِي : « وَاللَّهِ لَا أَصْبِتُ مِنْ غَيْرِكَ أَبَدًا ، وَلَا جَعَلْتُكَ حَقْلِي مِنْ دُنْيَايَ
فِيمَا يُؤْثِرُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَكَانَتْ أَشْفَقَ النِّسَاءِ ، وَأَضْيَطُّهُمْ ،
وَأَحْسَنَهُمْ تَدْبِيرًا فِيمَا تَوَلَّاهُ بِمَنْزِلِي ، فَتَبَيَّنَتْ وَقُوعَ الْخِيَرَةِ فِي ذَلِكَ .
وَلِحَقَّتِي السُّنُّ ، ^(٢) فَصَارَتْ حَاجَتِي إِلَى الصَّوَابِ أَكْثَرُ مِنْهَا إِلَى
الْجَمَاعِ . وَشَكَرَ اللَّهُ لِي مَا تَلَقَّيْتُ بِهِ جَمِيلَ قَوْلِهَا ، وَحُسْنَ فَعْلِهَا ، فَرَزَقَنِي
مِنْهَا هَذَيْنِ الْإِبْنَيْنِ الرَّائِعَيْنِ لَكَ ، وَنَحْنُ مُنْقَطِعُونَ إِلَى جُودِهِ فِينَا ،
وإِحْسَانِهِ إِلَيْنَا »

هرثمة بن أعين
والرشيد

٢٩ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ قَالَ :

« أَنْكَرَ الْمُهْدِي عَلَى هَرَثْمَةَ بْنِ أَعِينَ تَحَكُّمًا بِمَعْنَى زَائِدَةٍ ، وَأَمَرَ
بِنَفْيِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، فَكَلَّمَهُ الرَّشِيدُ فِيهِ ، وَأَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ
عَلَيْهِ ^(٣) . وَمَاتَ مَعْنً ، وَزَادَتْ حَالُ هَرَثْمَةَ ، وَشَكَرَ لِلرَّشِيدِ مَا كَانَ
مِنْهُ ، وَأَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى مُوسَى الْهَادِي ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ هَرَثْمَةُ .

(١) هَذَا حِكَايَةُ قَوْلِ التَّاجِرِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَبْدَلْ مَا فِيهِ مِنَ اللَّحَنِ وَالْخَطَا ،
وَسَيَمُرُ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

(٢) لِحَقَّتْهُ السُّنُّ : أَدْرَكَهُ الْكِبَرُ فِي السِّنِّ الْعَالِيَةِ

(٣) السَّخِيمَةُ : التَّغَضُّبُ وَالْمَوْجِدَةُ فِي النَّفْسِ . وَاسْتَلَّهَا وَسَلَّهَا :

أَخْرَجَهَا بِتَأَنٍّ وَرَفَقٍ

وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد، وجمع الناس على تقليد آفته
 العهد بعده، وعلم بهذا هرثمة، وتذكر عارفة الرشيد، قمارض
 وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب آفته مكانه،
 فأجابوه وخافوا له. وأحضر هرثمة، فقال له: «تبايع ياهرثمة؟»
 فقال: «يا أمير المؤمنين! يبنى مشغولة بيئتك ويسارى مشغولة بيئعة
 أخيك! فباي يد أبايع؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب
 من بيعة آفته، أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته، ومن
 حنث في الأولى حنث في الأخرى^(١). ولولا تأول هذه الجماعة
 بأنها مكرهة، وإنسارها فيك خلاف ما أظهرت، لانسكت
 عن هذا». فقال جماعة من حضر: «شأنت وجوهكم! والله لقد
 صدقني مولاى وكذبتموني، ونهضتني وعشتموني»
 وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه،

٣٠ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدى يقول :
 «لم يتمكن أحد من أحد تمكن أبى يوسف القاضى من
 الرشيد . ولقد سألت إبراهيم بن المهدي عن السبب فى ذلك ، فقال :
 « كان يستحق هذا منه لما حدثنى به مسرور الكبير ، قال :
 « كنت فى خدمة المهدي ، وكان الرشيد حفيأً بى^(٢) ، محسناً
 لى ، فلما آتت أمر الخلافة إلى الهادى ، قال لى الرشيد : « إن

أبو يوسف
والرشيد

(١) حنث فى الدين : نقضها بعد تركيدها

(٢) يقال : يحرق بى ، أى : يبالغ فى الكرامة والبر

أخى قوى الشراسة ، وأنا أخاف إيقاعه بى وجمع الناس على بيعته
أبنة بعده . وأنا على غاية من الثقة بك ، فأعدل إليه وكن لى عينا
عليه ^(١) . فتقدمت عند الهادى حتى توليت ستر بيت خلوته .
وكان المهدي قد قرن أبا يوسف بالهادى تمكن منه ، وقيل
فى مهماته مشورته ، فلما حلأ بقلبه شاوره فى ذلك ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تحمل نفسك على قطيعة رحلك ، وأولياءك
على الحنث بأيمانهم ، وأستدع من الله زيادة بما يرضيه عنك ،
فتوقف بعض التوقف . وسعى إليه بالرشيد ، وقيل له : « إنه [عامل] »
على أن يغتالك . فدعا بأبى يوسف وأخبره بما تأدى إليه ؛ فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تسمع هذا ، وأنا الضامن لك حسن طاعته
ووكيد موالاته . فكنت أنهى جميع ذلك إلى الرشيد فيشتد
سروره به ، ويرغب إلى الله فى معونته على مكافاته

فلما أفضت الخلافة إليه ، دعا به وقال له : « يا يعقوب الوجيه
لى إدخالك فى نسي ، ومشاركك فى الخلافة المفضية لى ،
لكنك حقيقاً به ! ألسن القائل لأخى وقت كذا : كذا ؟ وفى وقت
كذا : كذا ؟ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! من أبأك بهذا ؟ فوالله
ما كان معنا ثالث ! » . فضحك الرشيد وقال : « سرور كان يتولى
ستر بيت خلوته ، وكان يُنهي لى جميع ماصدر عنه ،

قال سرور : « فوالله ما برحت بى عناية أبى يوسف حتى

بَلَّغْتُ مع الرشيدِ هذا المبلغُ !

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهَ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلْجِي
أَبُو يَوْسُفَ
وَبَذَلَ
حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَزْهَدًا - قَالَ :

« مَا أَشْتَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةَ رَأَيْتُ أبا يَوْسُفَ
بَلَّغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ آجِزْتُ بِهِ مُسْلِمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ
لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَةَ لِنَدَاظِرٍ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأَتَيْتُ لَجَائِشَ
عِنْدَهُ - وَقَدْ أَبْتَدَأَ فِيهَا أَكْرَنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتظرني » ، وَمَضَى . فَغَابَ عَنِّي مَقْدَارَ
سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلْفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعَتْ اللَّيْلَةُ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ،
قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَنِي فِي رَسُولُهُ إِلَى بَيْتِ
مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ ^(١) ، مَسْرُورٌ الْكَبِيرُ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السلام] يَا يَعْقُوبُ !
أَدْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَرَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ
ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَذَلٍ - وَوَجْهُهُ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْمُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ
مَشْهُورٌ

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْذُ الظُّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقى هذا السيف من يديك ، وأرض بالحق لك وعليك . » وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلس الخصوم بين يدي

ثم قال الرجل : « سألتى أمير المؤمنين أن أبيعته جاريةً على فيها أيمان مُحرَّجة لا كفارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبها » ، قال فقلت له : « قَسِّمِها لأمير المؤمنين إن أخرجتك من يمينك ؟ » ، قال : « إى والله ! وإن ذلك لسهلٌ على » ، فقلت : « هَبْ لى نصفها ، وبعه نصفها » . فقال : « قد أجبْتُ ، وجعلتُ ثَمَنَ النصف هديةً لك » . وتعاونا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقنى هذا المال » . فوجدنا المال المحمولَ خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت فى نفسى : « أحبى نفساً ، وأصلح بين خليفة وأبن عمه فى مقدار ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرغنا من صلاة المغرب حتى آتَدَرنا الغلمان يحملون مالا وبزاً وطيباً ^(١) ، ومعهم جارية حسيقة ^(٢) » ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدى وتقول لك : « أجازنى سيدى أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثواب الفُتيا التى كانت سبب وصولى إليه » .

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً ،

(١) البر : الثياب

(٢) حسيقة : جيدة الرأى محكمة العقل

٣٢ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب ،
عن جدّي واضح مولى المنصور ، قال :
« كنت بين يدي المنصور ، وقد أحضر رجلا كان من رجال
هشام بن عبد الملك ، وهو يسأله عن سيرة هشام لأنها كانت تُعجب
المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل جارية من ذكره ، فأحفظ ذلك
جماعتنا ^(١) ، فقال له الربيع : « كم ترحم على عدو أمير المؤمنين ؟ » ،
فقال الرجل للربيع : « مجلس أمير المؤمنين - أيده الله - أحقُّ
المجالس بشكر المحسن ، وبجائزة المجمل ، وهشام في عُنُقِي قِلَادَةٌ
لا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلِي » ، فقال له المنصور : « وما هذه القِلَادَةُ ؟ » .
قال : « قلّدتني في حياته ^(٢) ، وأغناني عن غيره بعد وفاته » ، فقال له
المنصور : « أحسنت بآرك الله عليك ! وبجُسن المكافأة تُستَحْتُ
الصنائع ، وتزكو العوارف ^(٣) » ، ثم أدخله في خاصته ،

وجل من
صنائع
الأمويين
والمنصور

بعض أقوال
الفلاسفة
في حسن
للمكافأة

وقد مثل بعضُ الفلاسفة لِحُسْنِ المكافأة ، بالخُسام الصَّعِيلِ .
الذي يُحْدِثُ له وقوعُ الشمس عليه : أنبعاثُ شُعاعٍ منه يَجْلُو غِيَاها

(١) أحفظه : أغضبه

(٢) قلّدتني : يريد قلده عملا من أعمال السلطان

(٣) استحث الصنائع : جعلها سريعة متتابعة متصلة ، والصنعة :

الجليل والإحسان ، والعوارف : جمع ، عارفة ، وهي المعروف . زكا
المعروف يزكو : نما وازداد

الأمكنة المظلمة ، ويكون وفور شعاعه على حسب صقاله
وقال أفلاطون : « من حُسن مكافأته ، لم تُغضب حَيثُته فيما
لنفسه ؛ لأنه يُقيم العوارق مقام دُيونٍ يتحملها لا يسعه إغفالُ
قضائها . وإنما يغضب من المتع : مَنْ آثرَ تحصيل العارِقة وإغفالِ
المكافأةِ عليها »

عائمة المؤلف
لهذا الباب

ولأنَّ المرغوبَ إليه إذا كان محتاجاً إلى مُطالعة حُسنِ المكافأة
للإحسان فيثابر عليه ، وسوءِ المكافأةِ على الإساءة فيتأخر عنه ، كان
الراغب محتاجاً إلى أن يكونَ في حُلده من أخبار من أساء الصنيع
فساءت مكافأته ، ما يوازي ما أثبتاه من حُسنِ المكافأة للإحسان

٢- المكافأة على القبيح

ملك الهياطة
وفيروز

٣٣ - حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، عن أبيه، عن جده مولى عبد الله بن المقفع - أن عبد الله حدثه، قال

«كان فيما ترجمته من سير الفرس : أن فيروزاً لما تقلد مملكة فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطة . وكان به للهياطة ملك صحيح الرأي حسن الجوار، لجمع ذوي الرأي في بلده وسألم عما يرون، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه ، لجزأهم خيراً وأنصرفوا . وخلابه وزيره - وكان عالي السن ^(١) - فقال له : «أيها الملك إن يسير الحيلة ربما بلغ أوق منازل المكافأة والذي عندي من الرأي أن تظهر الشطط على تقطع يدي ورجلي ، وتنفق إلى أقاصي ممالكك ، وتكتب إلى عاملك هناك في جنسي ، وتظهر أنك تبنت مني ميلاً إلى فيروز ، فقال له : «إن حسن الحيلة إنما يقع بغير إضرار يلحق صاحبها ، وإذا بلغنا بك هذا ، فقد تجاوزنا بك ما تخافه من فيروز لو حصلت في يده »

فقال : «أنا منذ تكامل تمييزي أحسب ما لي وعلي ، فإذا وهبت لي نعمة عيت أن علي فيها نعمة ، وأن الرغائب بالنواب ^(٢) . وقد

(١) عالي السن : كبيراً منا

(٢) الرغبة : الشيء العظيم المرغوب فيه

عشتُ في سلطانك - أيها الملك - في هذه السن العالية ، عزيزَ
الجانب ، خَصِيبَ الأفنية ، وَشَمْلِي في نهاية من رَفَاغَةِ العيش .^(١)
وليس من الجليل أن أُمْسِكَ عن قضاء حقِّ النعمة على لسلطاني
وشَمْلِي وأهلي وولدي . وصيَّاتهم ، بما عَرَّاهم بنفسي^(٢) . وأعلم
أَنِّي لو خدمتُ السلامةَ لنفسِي ، لما تَذَكَّرْتُ بموتِي ، ولم أَتَّبِعْ شَرَفًا
لاَهلي ! ولعلَّ أَجلى قَرِيبٌ ، فأفوز بِحُسْنِ الذِّكْرِ فيما أَتَيْتُهُ
وقَضَيْتُ به حقَّ سَوَالِفِ الإِنْعَامِ علىَّ ، والإِحْسَانِ إِلَيَّ . وإِنَّمَا
أَعْتَمَدْتُ هذا الأَمْرَ الفُطَيْحَ لِأَعْدَلِ بِفِكْرِ فيروز عن الحيلة ،
وأضطرَّهُ إلى السكون إلىَّ ،

« فلما رأى أَنه لا يرجع عما أشار به عليه ، دعا به وقطع يديه
ورجله ، ونفاه إلى آخر مسالحه^(٣) ، فكان محبوساً هناك

« وَتَجَدَّ فيروز في سفره » ، هو أفي الموضع الذي نيه الوزير ، فوجده
غالياً ممن كان فيه ، ولم يَرَّ به غيرَ رجلٍ مقطوعِ اليدين والرجلين ،
فسأله عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائن فاستشارني ، فأشرتُ
عليه أن لا يَنَاهِضَكَ . وأن يسألك إقرارَه في البلد ، وحملَ خَراجَه

(١) رفاغة العيش سعة وخصبه

(٢) عراه الأمر تشديد أصابه وغشيه .

(٣) المسالخ : جمع سفحة ، وهو الموضع المخوف يكون فيه جماعة
بسلحهم يرقبون العشرة لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه أعلوا
أصباحهم ليتأهبوا له

إليك . فاستشاط ، وسوّلت له نفسه مُناوأتك ، وقد جمع جيشاً له كثير
العتد قوى النكاية ، وقدّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندى حيلة
أجازه بها على سوء صنيعه ،

« واستجلى فيروز الوزير ^(١) فقال له : « إن عدّلت عن هذه
الطريق وتجنّست قطع بريّة يُقيم السار فيها يومين ، تحتاج إلى حمل
الماء إلى مسيرة يوم منها ، ثم تُفَضّى إلى مياهٍ متدفّقة . فإذا قطعتها
وصلت إلى بلد الهياطلة ، وهو وجمعه في الطريق الذي آثرت سلوكها ،
فتدخل البلد بغير حرب »

« فحمله الاستنامة إليه - لما رآه به - على تصديقه ^(٢) ، ولحج
في البرية بجميع جيشه ^(٣) ، - وقد كان واطاً [الوزير] الملك على
تكمين جمع له آخر في البرية ^(٤) - ، فسار يومه وبعض غده في قفر
لا يوجد به ماء ولا ثبّت ، فتساقطت الدواب من العطش ، وأفرق
الجيش لطلب الخلاص ، وخرّج عليه منسّراً جيش الهياطلة
فأمروا عليهم ^(٥) ، وأخذوا فيروزاً أسيراً . فنّ عليه ملك الهياطلة

(١) في الاصل : « واستجلى فيروز الملك » . واستجلى صاحبه
الامر : طلب أن يحلوه له ويكشفه

(٢) استنام إليه : اطمأن وسكن ، حتى كأنه في نوم وغفلة

(٣) لحج في البرية : مال إليها ، ودخل فيها

(٤) واطأه على الامر : واقفه عليه اتفاقاً . كن الجمع تكميناً : جمعه
كيناً مخفياً في مكن لا يظن له العدو

(٥) المنسّر : جماعة الخيل مابين المائة إلى المائتين تقض على العدو .
أمروا عليهم : كثروا عليهم فغلبوهم

بالإمساك عن قتله ^(١) ، وجمع وجوه بلده وأضاف إليهم وجوهاً من عسكر فيروز ، وأستحلف فيروزاً بحضرتهم أنه لا يجاوز حَجَرًا جعله فضلاً مشتركاً بينه وبينه . وأثبتَ المَفارقةَ في صحيفَةٍ بخط فيروز ^(٢) ، وأشهد عليه الجماعة ، وأطلقه على غايةٍ من التبجيل والإكرام

« فدخلت فيروزاً خَجَلَةً من رجوعه إلى مملكته بعد أن سِر ملك الهياطلة له وتغيبه به ^(٣) ، وحَدَّثته نفسه بما ودة قتاله ، فخرج إليه . وسوّلت له نفسه أنه إن سَمَلَ الحجر حتى يدخُل به بلد الهياطلة لم يَحْتَفَ في يمينه ، فحمله بين يديه وسار بجمع كثير . وخرج إليه ملك الهياطلة ، فالتقيا في مُتَصَف طريقتهما

« فلما تَراى الجمعان ، انفرد ملكُ الهياطلة عن جمعه ، وسأل فيروزاً مَوَازاةً لِيَسْمَعَ منه شيئاً . فبرَزَ فيروز . فقال له : « أنا وإِيَّاكَ في قَبْضَةٍ من حَنَنْتَ في اليَمِينِ به ، وهو عَزَّ وجلَّ يشْكُرُ للحسن إحسانه ، ويعاقبُ المسيءَ بإساءته . وقد أنعمتُ عليك ، وأحسنْتُ إليك ، وأنا أَخوَفُكَ اللهُ وأحذَرُكَ سَطْوَاتِهِ ، فإني أعلمُ أن حَيَاةَ كِمَاجِرِيْ عَلَيْكَ هو الذي رَدَّكَ ، فينبغي أن يكونَ استحيَاؤُكَ من الله عز وجل أشدَّ من

(١) من على الأسير : أنعم عليه بإطلاقه بعد الظفر به

(٢) المَفارقة : العهد الذي يقع عليه الاتفاق بين اثنين ثم يفرقان على الوفاة به

(٣) في الأصل : د وتعميره به ، ، وهي معرفة . عفره وعفر به : ألقاه بالعفر وهو التراب ، يريد : أذله وحقره

استحيائك من خلقه . وليس يُخْرِجَكَ من يمينك خَلُّ هذا الحجر
بين يديك ، لأنَّ اليمين إنما تكون على نية المستحلف لا على نية
المستحلف . فتدبرْ قولي ، واعلمْ أنَّ من سمعَكَ من أصحابي على غايةٍ
من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعَكَ من أصحابك على دُعر من أن
تهلكَ بخوبك ^(١) . فقال له : « لست أرجع عن قتالك ،
» فأمر أن تُركبَ الصحيفة على أطول رمح في العسكر وتَحمل
عليه ، فهزم جيشُ فيروز ، وقُتل فيروز في المعركة »

* * *

٣٤ - وسمعتُ أبا جعفر محمد بن هرمثة يقول :
« كان محمد بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل - في أيام
الوائقي - ويحرّضه عليه ، فتغيّرت عليه نيّته ، حتى أدّاه ذلك إلى حبسه
عند محمد بن عبد الملك »

ابن الزيات
والمتوكل

« فسمعت المتوكل يقول - في اليوم الذي تقدّم في إدخاله إلى
التّور الحديد ^(٢) - : لم يُمنَّ أحدٌ بمثل ما مُنيتُ به من ابن الزيات !
صديقٌ على محبسى ، ومُتَعَنٍّ عما اقتضتْليه عادتي . وكنتُ قد ربيتُ

(١) الحوب : الإثم العظيم

(٢) كان محمد بن عبد الملك الزيات الوزير قد اتخذ تورا (موقداً)
يعذب فيه من يعتمد عقوبتهم . فإذا بلغ بأحد العذاب وقال له : « ارحمني
أيها الوزير ، يقول له : « الرحمة خور في الطبيعة » ، فلما أدخله المتوكل
في توره ، استعاذ به وقال ما كان يقال له : « ارحمني يا أمير المؤمنين » .
فقال له : « الرحمة خور في الطبيعة »

وَقَرَّةٌ فَلَمْ يُطْلَقْ [إِلَى] تَنْظِيفِهَا^(١)، فَكَثُرَتِ الدَّوَابُّ فِيهَا. وَتَأْدَى ذَلِكَ إِلَى الدَّقِ، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَائِقِ رُقْعَةً، فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ: «أَطْلِقْ لِجَعْفَرٍ طَمَّ شَعْرَهُ^(٢)، وَتَنْظِيفَ ثَوْبِهِ وَتَطْيِيبَهُ^(٣)». فَأَنْصَرَفَ كَالْمَغِیْظِ وَخَضِرْبِ الْمُوَكَّلِ بِي، وَقَالَ: «تَرَكْتُ تَحْبِيسَ جَعْفَرٍ شَارِعًا مِنْ الشَّوَارِعِ حَتَّى يَهْلُ شَكْوَى أُمِّهِ^(٤)». ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِي، فَخَرَجْتُ، فَوَجَدْتُ أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ، فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ فِيهَا وَجْهَهُ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «دِنَطْعُ^(٥)»، - فَأَوْمِنِي أَنَّ الْوَائِقِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِي - فَبَسِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَوْمَى إِلَى الْغُلَبَانِ بِإِدْخَالِي فِيهِ، وَلَمْ أَشْكُ فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَجَامُ^(٦)»، فَقُلْتُ: «أَظَنَّهُ يَخَافُ أَضْرَإِي قَبْلَ قَتْلِي»، وَأَنَا فِي سَائِرِ هَذَا قَائِمٌ. فَلَمَّا وَاقَى الْحَجَامُ قَالَ: «أَحْلِقْ شَعْرَهُ»، فَأَجْلَسَنِي بِحَاقِ شَعْرِي. فَأَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا أَسْتَبْقِيهِ لِحِظَةً إِنْ خَلِفْتُُ بِالْخَلَاقَةِ. فَاتَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالنُّورِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ،

-
- (١) الوفرة : شعر الرأس إذا بلغ إلى شحمة الاذن . أطلق له أن يفعل كذا : أذن له
(٢) طمَّ شعره : جزَّه ، أو عَضَّ منه ولم يأخذه كله
(٣) النطع : فراش من جلد ، وأكثر ما يوضع عند القتل ليكون فيه الدم لئلا يفسد البساط
(٤) الحجام : هو الذي يخرج الدم الفاسد بالمحاجم التي تمصه ، وكان الحجام في زمانهم يتولى بعض الطب تكلع الاضراس وعلاجها وما إلى ذلك

٣٥ - وحدثني نسيمٌ خادمُ أحمد بن طولون ، قال :

« صار إلى ابن سليمان بن ثابت - وكان ابنُ سليمان هذا يكتبُ
لخادمٍ يعرفُ بشُقَيْرٍ ، يتقلّدُ الطراز من خِدمِ السلطان ^(١) ، ثم عمل
سليمانُ بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه - ومعه رُقعةٌ ، فقال :
« توصّلها لي إلى الأمير ؟ » . فقرأتها ، فكان يذكر فيها أن شُقَيْرًا أودع
أباه أربع مائة ألف دينار . فلما قرأها الأمير قال : « انظر ما تقول
وأسدّني عنه ! » ، فقال : « الأمرُ والله على ما وصفته للأمير » ، فقال :
أمسك عن هذا ، وأطوِ حجيتك إلى عن أهلك وعن سائر الناس ،
وأنصِرِفْ مَكْلُومًا ^(٢) ،

فقال : « فكُنتُ تعجّبي من إمساكه عن ذكر هذا لآييه . فلم يعض
حولٌ حتى مات سليمان بن ثابت ، فأظهر غمًّا به وتفجعًا عليه . ثم
دعا بابنه الراضع للرقعة ، فردّ إليه ما كان بيد آييه من أملاكه ، وضمَّ
إليه من الرجال مَنْ تَقَوَّى به يدهُ . وأقام به شهورًا ثم دعاه وأنا قائم
بين يديه ، فقال له : « كيف حالك مع مُخلني أهلك ؟ وهل أنكرت
شيئا منهم ؟ » ، فقال : « قد أعزَّ الله جانبي بالأمير ومنع مني » ، فقال
له : « أعمل إلى الأربعمئة ألف التي عندكم لشُقَيْرِ الخادم » ، فلأجلج ،
فردّ أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار ، وأمره بمطالبة آييه بالسُّوط .

(١) العزاز : هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب - معامل الثياب

(٢) كَلَاه : حفظه وحرسه ، ومكْلُومٌ محفوظٌ محروسٌ ، وترك

الهمزة فصارت (مكْلُومًا)

ضربه خمسين سوطاً، وأصطفى ما كان له ^(١)، فلم يجد عنده بعض ما تقوله على أبيه. وعاود مطالبتَه، فضربه مرةً أخرى فمات فقال لي : « فنجبتُ من هلاكه بهذا المقدار من الضرب . فأخبرتُ أن هذا المضروب كان يستزيرُ الفوائد من النساء في وفور حاله ^(٢)، فزارته امرأةٌ كانت ربيطةً لجلادٍ بالسوط ^(٣)، وعلم الجلاد بذلك فبكرَ إليه ووقف له، حتى إذا خرج، أنكبَّ على فخذه وقبَّله، ثم قال : « ياسيدي ! قد أغناك الله عن مساءتي بما بسطه من الرزق عليك وظاهره من الإحسان لديك ^(٤)، وكانت مُهَجَّتِي عندك البارحة . فإن رأيت أن تهبَّها لي ! فلكَ منها عِوَضٌ، وليس لي عنها مَعْدِلٌ !، فصاح في وجهه وأمر بإبعاده . فلما شُدَّ بالعُقَّابين ^(٥)، تقدَّم الجلاد فضربه ضرب القتل فأَتَى على نفسه »

العمري
وغلباته

٣٦ — وحدثني نسيم الخادم أيضاً :

« أن أحمد بن طولون كان مدعوراً من خروج أبي عبد الرحمن

(١) أصطفى واستصنى : استخرج أكثر ماله وخياره

(٢) استزاره : طلب زيارته . وفور الحال : سعته ووفرته

(٣) الربيطة : هي في اللغة الدابة تربط للخدمة، وأراد بها هنا المرأة

تربط في المنزل وتيق لحاجة سيدها وخدمته ومتاعه وتكون من سواقط النساء

(٤) ظاهر الإحسان : ضاعفه وأكثره

(٥) العقابان : خشبتان يشبع الرجل بينهما مشدوداً فيجلد ، وهي

من آلات التعذيب

العُمَرَى^(١)، فوافاه الخبرُ بقتلِ غلبان أبي عبد الرحمن إياه وانتشارِ أمره . ثم صار إليه جماعةٌ تقارب العشرة ومعهم رأس قتالوا : « نحن غلبان العُمَرَى ، وهذا رأسه » . فجمع الخاص والعام وأدخلهم إليه ، وأستحضر قوماً استأمنوا إليه ، فسألهم عن الرأس ، فأجمعوا على أنه رأس أبي عبد الرحمن ، وأن الغلبان من خاصته^(٢)

« فقال أحد بن طولون لهم : « هل كان سيئاً إليكم ؟ » . قالوا : لا والله ، ولقد كان مُحْسِناً إلينا ، ومُفِضِلاً علينا » . قال : « فسا حلكم على قتله ؟ » ، قالوا : « طلبنا الخطوة عندك ، والمكانة منك » ، فقال : « قتلتم مولاكم المحسن إليكم بالطرب^(٣) إلى المزيد ؟ » . ثم أمر بهم فشُقَّ عزِ جماعتهم^(٤) ، وأخذتهم السياط حتى سَقَطُوا وخُزِبُوا على رؤوسهم بالشدوخ حتى ماتوا جميعاً^(٥) . وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن ،

متسلط حامل ٣٧ - وسمعتُ أبا عبيد على بن الحسين القاضي يحدث قال :

(١) انظر ص (٧)

(٢) تطرب : أخذه الطرب والفرح ، وتطرب إليه : اهتز له وعلج فيه

(٣) شق عنهم : أى شقوا عنهم ثيابهم يبيتونهم للجلد بالسياط

(٤) الشدوخ : جمع شدخ ، وهو الرخص الطرى من الشجر ، يضرب به حتى يشدخ رأس المضراب

« كانت لي بواسطِ حَصَّةٍ أَوْدَى عنها إلى السلطان خُرْجاً ^(١) قَدِيمٌ علينا عَامِلٌ قد جُمِعَ من الظُّلمِ ، وسوءِ التَّسلُّطِ ، وقَطَاظَةِ الطَّبْعِ . جُمِعَ المعامِلينَ بأَسْرَمٍ على التَّحْيِيلِ له بما لا يُوَصِّلُ إليه من أملاكهم ، ولا يَسْتَحِقُّه عليهم ، فضرب قوماً ، وأسْتَخَفَّ بآخَرينَ ، فقال له رجلٌ مِّنْ حضرٍ : « إن رأيتَ أن تؤخِّرني إلى نصفِ النهارِ » ، فقال له : « لعلك تَمِنُ يقول : إن من عَمُودٍ إلى عَمُودٍ فَرَجاً » ، فقال له الرجلُ : « أنا والله أعتقد من لحظةٍ إلى لحظةٍ فَرَجاً يُرْجى مِن اللهِ » ، فتصاحك من كلامه . فوالله ما مضت ساعة حتَّى دخلت إلينا - في الموضع الذي كان فيه - رَعْلَةٌ من الخوارج وهي تقول : « السُّلَيطِينُ السُّلَيطِينُ » ^(٢) ، فقطَعَتْهُ بِأَسَافِها وأخرجت ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً لأحدٍ . فعملتُ أَنهم عَقُوبَةُ آعَمَدَتِهِ »

٣٨ - وحدثني عمر بن يزيد البرقي - وكان جميل المذهب -
عامل الصدقة
ومتظلم

قال :

« حضرتُ مُصَدِّقاً شديداً الاستحلال ^(٣) ، بعيداً من الرأفة ، وهو جالس على رايةٍ ، وبين يديه حِوَاءٌ يُحْتَازُ به ما يُحْصَلُ له من

(١) الحصة : النصيب الموروث من الأرض ، والخرج : المال الذي يؤدَّى على الأرض

(٢) تصغير سلطان

(٣) المصدق : هو الذي يأخذ حقوق الصدقة من الإبل والغنم

الإبل^(١). قال : « نَعْرِضْتُ نَعْمَ رَجُلٍ حَسَنِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَعَامِلٍ
بِعِفَافِ الطَّعْمَةِ^(٢) . فَتَخَيَّرَ عَلَيْهِ الْمَصْدُقُ مَا احْتَاذَهُ مِنْ إِبِلِهِ ،
وَأَسْتَعْمَلَ مِنْ سِوِهِ التَّحَكُّمَ عَلَيْهِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَأَدَّسَكَ ،
ثُمَّ نَظَرَ بَعْدَ انْفِصَالِ مَا بَيْنَهُمَا إِلَى فَصِيلٍ سَمِينٍ كَانَ فِي إِبِلِهِ ؛ فَقَالَ
لِقَلْبَانِهِ : « خُذُوا هَذَا الْفَصِيلَ حَتَّى يُصْلِحَ لَنَا غَدَاءً » ، فَقَالَ صَاحِبُ
الإِبِلِ لَهُ : « قَدْ أَخَذْتَ زِيَادَةً عَلَى حَقِّكَ ، فَمَا هَذَا ؟ » ، قَالَ :
« لَا بَدَّ لِي مِنْ أَخْذِهِ » ، قَالَ : « فَإِنِّي لَا أَسْلَمُهُ » ،

فَأَمَرَ بِوُجْهِ عُنُقِهِ^(٣) ، وَأَخَذَتْ مَقَادَتَهُ مِنْ يَدِهِ ، صَاحَ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ : « كُلُّ هَذَا بِحَيْنِكَ يَا جَبَّارُ^(٤) ! » . خَلَفَ لِي عُثْرُ أَنَّهُ جَاءَ
مِنَ الْحَوَاِءِ لُحْلُ - وَخَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ يَرْغُو - ، وَأَخَذَ بَعْضُهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ بِفَصِيلِهِ »

٣٩ - وفيما أخبر به الهيثم بن عدي قال : عدي بن زيد
والنعمان

« كَانَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ كَمَرِيِّ بَرْوَيْزَ فِي تَرْجُمَةٍ

(١) الحوَاء : المكان الذي يحوى الإبل وغيرها من الأشياء ، أى :
يضمها ويجمعها

(٢) الطعْمَةُ : وجه الارتفاق والاكتساب

(٣) الوج : اللكز ، أو ضرب العنق بالأيدي أو بالحديد

(٤) في الأصل : « بعينك » وقوله « كله بحينك » أى : كله ومعه حسنت
والحين : الموت

العربيّ إلى الفارسيّ ، وكان رجلاً جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فامتنع من ذلك ، ولم يرض بهذه السجّية ^(١) . فترك النعمان حتى أطمأن إليه ، ثم سأله أن يزوره . فكلّم كسرى ، وسأله أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً ، ونصب عدّيّ ابنه مكانه - وكان حلو الشاهد ^(٢) مضطرباً بما يُسند إليه - فأذن له . فلما حصل في يد النعمان قتله ، وكتب إلى ابنه يُخبره بأنه مات حتف أنفه ^(٣) ، وأنه على غاية من الآسى عليه ^(٤) . وتأدّى خبر عدّيّ إلى ابنه على الصّحة ، فلم يخرج فيه ^(٥) . وأقام يتتبع عوائله ، ويعمل الحيلة في آفتراس وثره ^(٦)

يجرى في يوم من الأيام ذكر الجوارى بين كسرى وبين ابن عدّيّ - وكان أبرويز مُستَهتراً بهنّ - ، فقال ابن عدّيّ : « أحسن

(١) السجّية : الطيبة والخلق والخصلة

(٢) حلو الشاهد : حلو العبارة واللفظ جميلهما . يقال : ماله رواء

ولا شاهد ، أى : ماله منظر ولا لسان يشهد له

(٣) الحنف : الموت نفسه ، وحتف أنفه : أى أن موته كان بخروج

روحه مع نفسه من أنفه وهو على فراشه ، لم يقتل في حرب

(٤) الآسى : الحزن

(٥) خرق في الشيء : دهمس ثم تعجل فلم يحكم عمله . يقول : لم

يتعجل

(٦) الوتر : الثأر . اقترص الشيء : اغتتمه واتهزه عند منوح

الفرصة

النساء حُرقة بنت النعمان . فكتب أبرويز إلى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حُرقة ابنته إليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب إليه كتاباً يذكر فيه قسَفَ^(١) تربية العرب لأولادها ، وتقصيرهم ببسادة الهيئة ووسخ المهنة^(٢) ، وأن في عين العراق لذلك عَوْضاً منهم^(٣) ؛ وأنفذ الكتاب إلى كسرى . فأمر كسرى ابن عدي أن يقرأه عليه ، فأمره على طَرَفِهِ ثم ألقاه ،^(٤) وضرب يده على جبينه ، وقال : « لا يستطيع لسانى مواجهة الملك بما فيه ! » ، فعزم عليه الملك لِيُخْبِرْتَهُ . فقال : « ابقى لا تَصْلُحْ لك ، فإذا قَرِمْتَ إلى الجماع فعليك بالبَقَرِ »^(٥) . فغضب كسرى ، وأنفذ رُسُلاً إليه فأشخص . فلما قرب من مقر كسرى ، أخرج أربعة آلاف جارية بالحُلِيِّ وفاخير الكسوة ، وأذن له ، ثم قال له بالفارسية : « يا كلب ! مَنْ كان له هؤلاء يَصْلُحْ له مجامعة البقر ! ؟ » ، وأمر بشد يديه ورجليه ، وألقاه في الأرض ، وأطلق القَيْلَةَ عليه فَوَطِئَتْهُ ، حتى مات تحت قوائمها .

(١) القسَف : رثاء الهيئة وسوء الحال وضيق العيش . ومنه المتقشف : الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع
(٢) البسادة : رثاء الحياة وترك الزينة . والمهنة : الخدمة والعمل والامتنان

(٣) العين : جمع عيناء . وهى المرأة الواسعة العينين الجليلتهما والعيناء أيضاً : البقرة لاتساع عينها

(٤) أمره على طَرَفِهِ : أى جعله أمام عينيه وأسرع القراءة

(٥) قرم إلى الشيء : اشتهاه وهم به

شريف
ومريض

٤٠- وفيما جاء به الزبير بن بكار، قال :

« اجتاز رجل من أشراف المدينة بمريض مُلقَى على كُنَاسَةٍ قَرِيبَةٍ من منزل رجل من الأولياء اختَلَّت حاله ^(١) ، ومَرَضَ ولا قَسِيمَ عليه ^(٢) وتَبَرَّمَ به رُفقاءه فأخرجوه من منزلهم ، وهو مُلقَى في الطريق . فأمر الشريف بحمله إلى منزله ، وتقدَّم إلى ابنة عمه في حُسْنِ القيام عليه بِحَسْمِهَا ، وأن تُرَفِّقَ عيشه إلى أن تَقْضِيَ عِلَّتَهُ . فابتدره كُلٌّ من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته ، وصار في منزلهم كأحدهم ، وقَفَلَ إلى دِمَشق ^(٣) »

فلَمَّا كان في الوقت الذي توجه جيشُ يزيد للحرَّة ^(٤) ، وآقَى غَوَاقِفَ على باب دارهم ، فظنُّوا به أَنَّهُ وآقَى لحمايتهم ، وحُسْنِ المدافعةِ ضَهِمَ ، لِيَقْضِيَهُمْ سَوَالِفَهُمْ لديه ^(٥) . فدخلَ الدارَ ومعه ثلاثة غلمان ، فلَمَّا تِمَكَّنَ منها أخذوا في جَمْعِ الآثاثِ ، فقال لهم الشريف : « ما هذا؟ » ، فقال : « إني استوهبتُ دارك بما فيها من الأمير ووهبها لي ،

(١) الأولياء : جمع ولي ، يريد عمال الدولة . واختلت حاله : افتقر

(٢) القيم : المدير الذي يقوم على أمره

(٣) قفل : رجع

(٤) وقعة الحرَّة : هي الوقعة التي انتهكت فيها حرمة مدينة رسول الله فأبيحت ثلاثاً لجند يزيد بن معاوية ، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال

(٥) السوالف : جمع سالفه ، وهي الإحسان السابق ، أو الإساءة السابقة

وكنْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَكِيدَةً ،
فَقَالَ لَهُ الشَّرِيفُ : « رَجَعْتَ يَا ابْنَ الْفُتُوحِ إِلَى لُؤْمِ أَصْلَاكَ ، وَفَسَادِ
مَرْكَبِكَ ، ثُمَّ دَلَّاهُ بِسَيْفِهِ . وَفَرَّ الْغُلَبَانُ ، وَهَدَّأَتْ وَقْدَةَ الْفَتَنِ .
وَطُلَّ دَمُهُ » (١) ،

« رَوَى الْعَبَّاسِيُّ (١) - وَحَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ نَصْفَلَةَ الْإِمَصِّيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي
رَأْمُو يَقُولُ :

« رَأَيْتُ شَابِحَتَنَا مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرِ لِحْفِهِ أَسْلَافَهُمْ : أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ
يَحْمَصُ شَابًّا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَسَنِ الصُّورَةِ ، لَبِيبَ الْعَرِيكَ ،
فَأَقَامَ مَعَهُمْ مَدَّةً . ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَتَقَلَّدَ ذَلِكَ
الْفَتَى حِمَصَ ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِي أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا قَصْدًا إِلَى
دَارِ رَئِيسٍ كَانَ بِهَا - مِنْ أَصْحَابِ بَنِي أُمَيَّةَ - فَذَبَحَهُ فِيهَا وَجَمَاعَةً مِنْ
غُلَبَانِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ

فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَلَانَ الْجَانِبَ ، فَقِيلَ لَهُ : « لَيْسَ يُشْبِهُ مَا أَنْتَ
عَلَيْهِ ، مَا قَرِطَ مِنْكَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي ذَبَحْتَهُ وَتَمَثَّلَهُ » ، فَقَالَ :
« اسْمَعُوا مِنِّي مَا جَرَى عَلَى عِلَّتِهِ »

« اجْتَزَتْ بِهِ - وَفَدَّ نَفَظَتْ أَوْ أَبَا لِي لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَقَدْ دُعِيتُ
إِلَى أَمْرِ لَا يَسْمَعُنِي التَّأَخُّرُ عَنْهُ ، أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَإِظْهَارِ
التَّجَمُّلِ ، وَمَعِيَ رَسُولٌ مَنِ اسْتَحْضَرَنِي - وَهُوَ تَاعَدْتُ عَلَى الْبَابِ ،

(١) طُلَّ دَمُهُ : أَهْدَرَ وَأَضْيَعَ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ دِيَّةٌ وَلَا نَارٌ

فرائت دأنتي^(١) بحيث تقع عليه من رجبة مبلطة لداره . فأمصني^(٢) ،
وأمر الغلمان بترجيلي وضربي ، فركبني أيديهم . ثم حلف ألا أبرح
حتى أكلس روث دوابي يدي في كمي ، وأحمله في ثوبي وججري ،
وأخذتُ جُفرت إلى ذلك ، ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بي ،
لحدت مولاي ، فاستحلفني بحقه على غليظ ما أتيتُهُ إليه ،

أحد الأكاسة
وولده

٤٢ - وما قرأته من سير العجم :

أن جماعة المنجمين حكموا لبض الأكاسة أن ابنه يقتله ويتولى
ملكه ، فعمد كسرى إلى سُموم ورجية فجعلها في قوارير^(٣) ، وختمها
وكتب عليها : « دواء للجماع ، الشربة مثقال » ، وكانت وزنة
قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : « إن كان الأمر كما حكاه
المنجمون فسأخذ بطائفتي منه »^(٤) . فعدا عليه ولده وقتله ،
وكان شديد المحبة للجماع ، ورأى تلك القوارير ، فشرب
منقالات

مروان
الجمعي وعالده

٤٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال حدثني أبي ، عن جدِّي

بن سهم

- (١) رات القوس وغيره من الحيوان : أرسل روثه ورجيعه
- (٢) أمص الرجل : إذا شتمه فقال ديامسان ، وهو الليم الراضع .
يريد سبه سباً قبيحاً
- (٣) سم وحى ، وموت وحى : سريع
- (٤) الطائفة : النار

واضح ، قال :

« سمعت خالد بن ميم ، يحدث المنصور - وكان هذا الرجل خاصاً بمروان بن محمد الجعدي ^(١) - فطلب منه مروان جارية له كان يحبها . وتجزم عليه ^(٢) ، فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذا رأي وتجدة ^(٣) . فلما استفحل أمر أبي مسلم وكسر عساكر مروان ، أخرجه من الحبس ووعدته جليلاً ، قال خالد :

« كان مروان يضحك من زى المسودة ^(٤) ويقول : « لو أترناهم ما بلغناهم ما بلغوا بأنفسهم من التشويه والشهرة ^(٥) » . فلما اضطُرَّ إلى مكافئهم وواقعهم ، رأيت قد تهيَّب معاركهم ، فقال لي : « يا أبا يزيد ! - وما كنتاني قبل ذلك اليوم - ، إنني قد آرتعت ، فهل ذلك يبيِّن في ؟ » ، قلت : « بلى يا أمير المؤمنين ! » - وكنت أداجئته ^(٦) ، ويسرني حؤول أمره ^(٧) ، فقال : « ما أجد قلبي يطيق مواقعهم ! » ، فقلت : « إن كان هذا ، فتحصن منهم بالانهزام ، فإن خيلك أنجى من خيلهم ^(٨) » .

-
- (١) هو آخر خلفاء بني أمية المسمى « مروان الحمار »
 (٢) تجزم عليه : تجنى عليه مالم يجنه من الذنوب والجرائم
 (٣) التجدة : الشجاعة والمضاء والبأس الشديد
 (٤) المسودة : هم العباسيون ، فقد جعلوا شعارهم السواد
 (٥) الشهرة : الفضيحة والشنعة الظاهرة
 (٦) داجئ : لازمه وأحسن مخالطته بالرياء والمداهنة
 (٧) حال الأمر يحول حؤولاً : تغير وتبدل وتحول فزال
 (٨) أنجى من خيلهم : أسرع نجا ، والنجاح : العدو السريع

فانهزم ، وتوقف أصحاب أبي مسلم عن طلبه ، فلما بلغ إلى
سواده^(١) قال لي : « قد عزمْتُ على الدخول إلى بلد الروم » . . وكان
من أصوب تدبيره . . فنَفِستُ عليه بالرأى^(٢) ، واستعملتُ مِغالطته
فقلت : « تدخلُ بأحداثٍ من وَلَدِكَ وَشَمْلِكَ^(٣) مستجيرين بكافِرٍ قد
أَمِنَ بِرُبِّهِ^(٤) ، واستقام أمره ؛ ولعلَّ وَلَدَكَ يروثُهم ما يروونه في
ملكته ، فيحملُهم ذلك على التَّشَرُّعِ ولأنَّ تَمَادَى في مسيرِكَ حتى
تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكُرَاعَ والمسال^(٥) ، تملك بها
أختيَارَكَ . . فركنَ إلى قولي ، فسرنا . فلما دَخَلْنَا مصرَ خَرَجَ إلى
صعبدها ، واستأمنتُ إلى عامرٍ - لحالٍ كانت يفي وبينه - ، وقُتِلَ
ببُوصير الأَشْمُونينَ ،

٤٤ - ولما قَدِمَ أحمد بن طُولون إلى مصر متقلِّداً بها عَمَلَ
أحمد بن طولون وابن المدبر المعونة ، أهدى إليه أحمد بن مدبر من دِقِّ مصر^(١) ، ودوايها ،
والرَّقِيَّ المجلوب إليها ، ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردَّ ذلك

(١) سواد العسكر من الجيش - ما يشتل عليه من الآلات
والدواب ، ويكون مجتمع سواد الجيش (المعسكر)

(٢) نفس عليه الشيء : حسده عليه وضمَّن عليه به .

(٣) الأحداث : الصغار ، جمع حدث

(٤) أَمِنَ سرَّبه : أى اطمأنت نفسه ، والسرب : النفس

(٥) الكُرَاع : اسم لجماعة الخيل والسلاح

(٦) دق مصر : هى الثياب الرقيقة الدقيقة الصنع التى كانت تصنع

بها ، وتعرف بالقباطى جمع قطيعة

عليه ، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه ، فنقل ذلك على ابن مدبر ، وقال : « ما ينبغي أن يثق السلطان - بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قدرٌ - على طَرَفٍ من أطراف مملكته » .

فلما مضت أيامُ بَعَثَ إليه : « قد كنت أنفذت إلى طائفة من برّك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها ، وقد بلغني أن عندك مائة رجل من مولدَى الغُور ^(١) ، وبني إليهم أمس حاجة » . قال ابن المدبر : « قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى ، يرُدُّ الأعراض والأموال ، ويستهدى الرجال » .

وكان حسينُ بن شعرة - مضحكُ المتركِل على الله - قد انضوى ^(٢) إليه ، فحفي به ضياعه وأملاكه . ووقف على استئصال ابن مدبر لأحمد بن طولون ، وأخرج حكايته في تَرْمِيهِ ^(٣) وكلامه ، فيضحكُ ابن مدبر ومن حضره . فاتصل ذلك بابن طولون ، فأحضره ثم قال له : « بلغني أنك تتنادرُ بي ^(٤) ، ولك في الناس مندوحةٌ فأحذرنى ، فإنك إن وقعت لم ينفعك ابن المدبر ولا غيره » ، فجحد هذا واعتذر إليه منه . ثم انصرف إلى ابن المدبر وقال :

(١) الغُور : بلاد موحشة بين هراة وغزنة ، كان يؤق منها بسبي يورل ويروبي

(٢) انضوى إليه : مال إليه ، واحتفى به

(٣) اهدمت : الوفاة والسكون وقلة الكلام والضحك ، وكان

ابن طولون من أشد الناس قاراً

(٤) تنادر به : تهازأ به وجره من فواده

« ياسيدي ! لو شاهدتَ أحمد بن طولون يُؤْتِنِي ! » ، فقال « ما قال لك ؟ » ، قال : « أصْبِرْ حَتَّى أَرِيكَ حِكَايَةَ صُورَتِهِ وَمُعَاتِبَتِهِ » ، ثم تَلَبَّسَ وَجَلَسَ يَحْكِيهِ وَيَقْتَصُّ مَا لَقِيَ بِهِ ^(١) . ثم اتصل ذلك بأحمد ابن طولون فأَمَسَكَ عَنْهُ ، وَتَلَبَّعَ غَوَائِلَهُ

« وَأَضْطَرَبَتِ الرِّعْيَةُ لِنِزَاجِ السَّعْرِ ^(٢) » ، وقد بلغ ثلاثة أَرَادَبَاتٍ حِطَّةٍ بِدِينَارٍ . فركب وتقدَّم بِعُقُوبَةِ الْقِمَاحِينَ ، وَأَزْدَحَمَتِ النِّظَارَةُ مِنَ السُّطُوحِ عَلَيْهِ . فَوَقَعَ مِرْكَنٌ فِيهِ رِيحَانٌ إِلَى الْأَرْضِ ^(٣) ، بِمِزَاحَةٍ مَن تَشُوفُ إِلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ ^(٤) ، فَسَحَّ كَفَلَ دَابَّةَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونٍ ، ^(٥) فَسَأَلَ عَنِ الدَّارِ : « لِمَنْ هِيَ ؟ » ، فَقَالُوا « لِحُسَيْنِ بْنِ شَعْرَةَ ! » ، فَأَحْضَرَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِمِائَةَ سَوْطٍ ، وَطَافَ بِهِ . وَكَانَ مَا أَوْقَعَهُ بِهِ مِنْ أَجْلِ مُتَقَدِّمِ سَوَائِفِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَفْلَحِ الْحُسَيْنُ بْنُ شَعْرَةَ بَعْدَهَا

« وَزَادَ أَمْرَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونٍ فِي الْقُوَّةِ وَزِيَادَةَ الْمَالِ وَوُفُورَ الْكَفَايَةِ » ، حَتَّى تَهَيَّأَ ابْنُ مَدِيرٍ ، لَخْدَتْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّرْسُوسِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونٍ يَقُولُ لَهُ : « يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِنْ تَعَرَّضْتَ لِي وَلَا تَرَسَمْتَ بَعْدَ أَوْتِي ^(٦) » ، فَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي آسْتِصْلَاحِكَ

(١) اقتص الشيء : تتبعه واحدة واحدة

(٢) نزاع السمر : ارتفاعه وغلظه

(٣) المِرْكَن : إجماعة يستنبت فيها الرياحين (قصرية)

(٤) تشوف إليه : تطالع إليه وتطاول لينظر

(٥) مسح كفلهما : مس عجزها ومؤخرها

(٦) ترسم بالشيء : جعله رسماً له يعرف به

فلم أصل إلى ذلك ، فقال له آبن مدبر : « والله ما أُرُدُّ أَمْرَكَ فيما أقتلّه ، وإني فيه كالقيم من قبلك ، فأى شيء أنكرت على حتى أنجبه ؟ » فقال : « أنكر عليك المكاتبه إلى الحضرة ^(١) ، وقد قلدتلك البغى » ، خلف له آبن المدبر أنه لا يكتب إلا بشكره

« وصيرف آبن المدبر عن مهر بأبي أيوب - ابن أخت أبي الوزير - فلما أجمع الأشخاص عنها قال له أحمد بن طولون : « يا أبا الحسن ، لو أردت بك سوءا لقد رت عليه ، وأحتاج إلى أن تجد تلك اليمين » ، خلف له بالمحرجات أنه لا يألو حرصاً في تزيين آثاره ^(٢) وتطييب أخباره ، وأشهد عليه الله بذلك . وخرج عن مهر متقلدا للشام فأقام مع ماجور

« فحدثني ثمت مولاة أحمد بن طولون : وأتم ثلاث بنات كن له - فقالت : « كنت عند مولاى بائنه فسمعتة يحلم في نومه ، خفت أن أنبهه فينكر على هذا ، فأنبهه وجلس ومسح عليه وقال : « خير إن شاء الله » . فسأله عمار أى فقال : « رأيت آبن مدبر قائماً في وسط برية ، ومعه قوس مؤتره وسهام ، وأنا تجاهه قائم ، ومعى جميع السلاح إلا القوس ، وبيننا نهر ، فكأنه يسدد السهم نحوى ويرمى ، فأخطأني . وكان قائلاً يقول : « لورماك يومه كله لما أصابك به ، لأنه عاهدك ، وما يضر هذا الفعل غير نفسه » فكأنه اشتد

(١) الحضرة : يريد حضرة الخلفاء من بني العباس يبعداد

(٢) لا يألو : لا يقصر

على أنهما كاهن في الرمي لي ، وليس في يدي غير سيفي وشرخ
وما أشبههما ، ^(١) لا تعمل في البعد ، وقد حال النهر بيني وبين
العبور إليه . فإنا على هذا ، حتى أنصب النهر فلم يرق فيه
قطرة ^(٢) ، فعبرت إليه ، فكأنني كنت كلما قربت منه يصغر . حتى
صار بمنزلة من يواريه الكف ، فأخذته يدي أستطرفه ^(٣) ، ثم
ألقيته من قامتي على رأسه فسات . فتأولت سهامه : المكاتبه في
والنحرىض على ، والنهر الذي منعى منه : مقام ماجور بدمشق .
ونضوبه : موت ماجور ، وصغره : قدرتي عليه ، واحتيازه في
كفي : قبضي عليه ، وقول القائل لي في السهام إنها تخطئك : أن
الله لا يعبث علي ،

« حدثت هذا الحديث سعدا الفرجاني - غلام ابن طولون - فقال
لي ما سمعت بهذا إلا منك ، والذي عندي من خبره مطابق لهذه الرؤيا .
وذلك أن الحسن بن مخلد برم بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء . ^(٤)
فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام بمصر . فكتب
إليه أحمد بن طولون : « إنما أنا وليك ^(٥) ، ومقام صنيعة من صنائعك » .

-
- (١) الشرخ : النصل الذي لم يثقب بعد ولم يركب عليه قائمه
(٢) نضب النهر نضوباً : ذهب في باطن الأرض وغار وبعد وقبل
(٣) استطرف الشيء : وجده طرفه ، أى طريقاً غريباً
(٤) برم : ضاق وضجر ، وانتقاض الأولياء : تقضيم اليهود
وخروجهم عليه
(٥) الولي : التابع من عمال الدولة

وصوب رأيه فيما آثره . فحجَّ من بغداد ، وثقَّى عنائه إلى مصر ، فنعاه صاحب البذرة ^(١) . فأنفذَ كُتُباً إلى أحمد بن طولون ، فكان أولُ ماصدر منها أربعين كتاباً جميعاً بخطَّ ابن المدبر ، يُعظِّم فيها أمرَ أحمد ابن طولون ويقول : « إنه قد حزم على أن يجلس خليفة » ، ويصفه بكلِّ عَذر ، فمَجِب منها ابن طولون . ثم مات ماجور ، واحتاز دمشق والشام ، وأنفذني إلى الرملة فقبضتُ عليه وأشخصته إليه . فأقام مدة في حبس ضيق ، وجفوتما جرت به عادته ^(٢) ، حتى ذهب بصره ومات ،

٤٥ — وحدثني سهل بن شُكَيْف ، قال :

ابن المدبر
ومتقبل

« رجعت [مرة] مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره ، فاستقبلته امرأة فقالت : « أيها السيد ! نحن مائة عيَّل على فلان المتقبل ، ^(٣) وقد ضاعَ شمله لحبسه ، فاتَّقِ دعوةَ تعرُّجٍ إلى الله مِنَّا فيك ! » ، فقال وهو متَهزِّئٌ : « إذا عزمتم على هذا ، فليكن الدعاءُ في السَّحر فإنه أنجعُ له » ! قال لي سهل : « فارتعتُ من الكلمة ، فما مضى له شهر حتى تقلدَ محمد بن هلال الخراجَ وصرفه عنه ، واجتمعا عند

(١) البذرة : هي خفارة الطريق وحراسته ، والمبذرق الخفير
(٢) جناً الشيء جفأً وجفواً : بعد عنه ، يريد ، وابتعاد عن عادته
(٣) المتقبل . هو الذي يتقبل الخراج أي يتكفل بجمعه وإيراده
ليت المال . و "ميل" : هو الذي يحتاج . إلى من يعوله ويمونه ويتكفله ،
والجمع عيال

أحمد بن طولون، فاهتدى محمد بن هلال إلى مالم يظن أنه يقف عليه،
لأنه أول ما ناظره قال : « رزق الخراج : كذا وكذا ، وأرزاق
الدواوين المضافة إليه : كذا وكذا ، فهل قبضت جملة هذه الأرزاق ؟ » ،
قال ابن المدبر : « نعم ، ما حضر في كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع
الرزق لك ؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق
الخراج وحده » . فانقطع [إلى] ابن المدبر ، وطالبه بالمال ،
فقال : « ما يزمني ؟ » . ورد إلى يد محمد بن هلال ، فألبس جبة
كانت على بعض الساسة ، ^(١) وأقيم في الطريق على كناسة ،
وحُجِمت الجبة في عنقه

« فكان أول من وافاه المرأة التي قال لها : « يكون دعاؤك في
السحر هو أنجمع له » . فقالت : « جزاك الله يا أبا الحسن خيراً ،
فقد نفعتنا بأكثر مما ضررنا : لا نتاجر بنا ما أشرت به فوجدنا أنجمع
شيء يلتمس [به] » . فبكى ومن حوله من الموكلين به ، وانصرفت
المرأة داعية له ،

٤٦ — وكان محمد بن أبي الساج قد هادن تحارويه بن أحمد
أبي الساج خمارويه وابن
ابن طولون ، وحلف بالخرجات أنه لا يشأفه ولا يُجهز إليه

(١) الساسة جمع سائس : وهو الذي يقوم على خدمة الدواب
ورباضها

جيشاً أبداً^(١) ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدادود - رهينة ، فسكن حمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه^(٢) ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا ابنه وقال : « قد نقض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرق له وأجازه ، وأقر أثره^(٣) ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقيا بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بإلقاء حصير الصلاة ، وألقيت ، ونزلت معه فصلتي ركعتين ، فلما استتمهما ، أدخل يده في حُفّه ، فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذي خلف فيه يؤكد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيت بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقت بكفايتك إياي غدره [إني] وبخلفه واجترأه على الحنث بما أكّده لى اغتراراً بحملك عنه ، فأدلى عليه ! »^(٤) . ثم ركب ، فرأيت ميمنة حمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شريفة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو في غاية من الوفور - فانهزموا بأسيرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقه : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقر أثره : أى رضى إثارة إياه بالابرة وأثره عليها ، وفي الاصل المطبوع « وأقر أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشْر^(١) ، وأطفتُ ومن حضره به ، فاستأمنت
إليها عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَاتِلًا أيها الأمير مع هذه
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالمسير بهم إلى مستَقَرٍّ سواده^(٢) . فسرْتُ
معه - وأنا على رِقْبَةٍ من طمع فيه أو كَيْدٍ له - فبلغوا نهراً
احتاجوا إلى عبُوره ، فرأيتهم قد خلعوا الخِفاف وحَطُّوا الرجال ،
وسَلَكُوا سلوك المطمِئِنِّ ، فأنِستُ إليهم ،

٤٧ - وكان في حارِثنا شابٌ قد قدم من العِراق ، ذَكَرُ^٣
الروح هادئُ السَّخَى ، يذكر أنه قَرَابَةُ لابن يَعْفُر القَائِم كان
بالين . وكان بمصر في دون قومه ، فأشار عليه من شاهِدَ ابْنِ
يعفر وسَمِعَ أمره ، بالخروج إليه ، فأخذتُ له حَجَّةً من بعض
أهلنا^(٤) ، وأضفت إليها براً يَنْتَحِلُهُ^(٥) ، وخرج . فلقى بمكة عجوزاً
يمانيةً جليلاً القدر فيهم ، فمرَّ بها موضعاً ، فقالت : « أنا أنكفل
بمؤنَّتِكَ وتحملُك ، وأغنم هذه اليد عند الأمير ، وحملته حتى
صارت به إلى عَشِيرَتِها ، فقالت لهم : « إن ابْنَ يَعْفُر قتل مِنَّا
في العام الماضي رجلاً ، ومعى قَرَابَةُ له فاقتُلوه به » ، واجتمع

(١) النَشْر : المكان المرتفع من الأرض

(٢) السواد : المسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عن مات قبل أن يهج وقد وجب
عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حوله في السفر

الحى، وتسلمه أولياء القتل، فلما جرد السيف اضطرب وبكى، فقال أولياء القتل : « ما نرضى أن تقتل هذا بصاحبنا ، صاحبنا شجاع وهذا جبان ! »

فبعثوا به إلى آبن يعفر ، وقالوا لرسولهم إليه : « إنا لا نرضى أن نفتاد من هذا »^(١) ، فلما واثى ابن يعفر ، دعا له بالسيف والنزع ليقتله ، وقال « هَتَكُنْتَنِي فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ ! » ، فقال له وزيره : « إِنَّ هَذَا الْفَتَى خَرَجَ مِنْ فَاةٍ وَأَمِنَ إِلَى مَوْقِفٍ تُضْرَبُ فِيهِ عُنُقُهُ فَاضْطَرْبْ ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُ الْأَمِيرُ مِنَ قَادِ الْجِيُوشِ ، وَتَطْعَمُ بِحَلَاوَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهِ »^(٢) ، وتمكّن من الرئاسة ثم عدل به طبعه إلى الخور ، والذي أرا. للأمير : أن يعقد له الرئاسة على جماعته ، ويُنفذه إلى مهمّاته ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا تَطْهَرُ بِحُسْنِ الْارْتِيَاضِ^(٣) »

ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره . فحسنتى أبو عبد الله محمد بن عامر اليماني : أنه درج بهذا التدبير^(٤) فظهر من شجاعته ما لم يُرَ في آل يعفر مثله ، ثم خزا الحى الذى كانت تلك المعجوز منهم ، فقتل أئـلاداً كانوا لها ، وأقصر به ذلك الحى »

(١) اقتاد منه : جعله قوداً أو قصاصاً يقتل بالمقتول من قومه .

(٢) تطعم الشيء ، وتطعم به : ذاقه ليتبين طعمه ، حار هر أو مز : .

(٣) الارتياض : الرياضة والتدليل والتأليم . يقال ، راعنه وروّضه وارتماضه

(٤) درج به : درب به وترقى درجة بعد . . .

٤٨ - وحدثني يوسف بن إبراهيم [والدي] . قال حدثني الخيزران أم الرشيد و امرأة هشام إبراهيم بن المهدي:

« أنه دخل على الخيزران أم الرشيد ، فوجدها جالسة في الدار المعروفة بها - وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها - على نَمَطٍ أَرْمِينِيٍّ ^(١) والنَّمَطُ على بساط أَرْمِينِيٍّ ، وعن يمين النَّمَطِ وبَسَارِهِ نَمَارِقُ أَرْمِينِيَّةٍ ^(٢) ، وعلى أعلى نَمْرِقَةٍ منها زينبُ بنت سليمان بن علي ، وعلى يسار النَّمَارِقِ أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بني هاشم ، إذ وقفت امرأةٌ على طَرَفِ البساط فسَلَّمَتْ ثم قالت : « يا زوج أمير المؤمنين ! أنا مُرَبَّةٌ زوج هشام بن عبد الملك ، ثم مروان بن محمد من بعده ، نكحها الزمن ، وَزَلَّتْ بها النعل ^(٣) ، حتى أصارها إلى عاريةٍ مَانَسْتِرٍ به مما عليها ، فتَنَبَّطَ الدموع تدورُ في عين الخيزران . وخافت زيدبُ أن تسخلها رَقَّةً ، فقطعت على مُرَبَّةِ الكلام بأن قالت : « يا أمَّ أمير المؤمنين ! اتَّقِ الله أن تُدْخَلَ رَأْفَةُ هذه الملعونة ، فتنبوئي مَقْعَدَكَ من النار ، ثم التفتت إلى مُرَبَّةٍ فقالت لها : « بِكِ فَدَامَ مَا أَنْتَ فِيهِ يَا مُرَبَّةُ ! كَأَنَّكَ نَسِيتِ دُخُولِي عَلَيْكَ بِحَرَّانٍ ، وَأَنْتِ جَالِسةٌ بِصَحْنِ دَارِ مَرْوَانَ ،

(١) النَمَطُ : ضرب من البسط (جمع بساط) له نخل رقيق واطئ

(٢) النَمَارِقُ : جمع نَمْرِقَةٍ ، وسادة وثيرة موشاة

(٣) زلت به النعل : زلق ووقع واقفقر بعد استواء الحال والنعمة

على هذا النمط ، وتحت هذا البساط ، وعن يمين نمطك ويساره هذه
التمارق ، وعليها أتهات أولاد جبابرتكم ، وقد مثَّلتُ في مثل هذا
المكان الذى أنت فيه ماثلة ^(١) ، وأنا أسألك وأتضرع إليك فى
استيها ب جُتة إبراهيم الإمام من مروان لئلا يُمثَّل به ، وقولك
وأنت كالحة فى وجهي : « ما للنساء والدخول فى أمور الرجال ؟ » ،
ثم أمرت يا خراجي من دارك بِنظلة ، فلجأت إلى مروان فوجدته
على حالٍ أشدَّ تعظماً على رحمه منك ، وقال لى : « لقد ساءتني
وفاة ابن عمي وما دبرتُ المثلثة [به] ^(٢) » . وقد خيَّرني بين إطلاق
تجهيزه له ، وبين تسليمه إلى ، فاخترتُ تسليمه ، وأمر له بجهاز
قبلته منه ،

« قال إبراهيم : « فالتفت مربية إلى زينب فقالت لها : « كأنك
يا بنت سليمان تحدي لي عاقبة امرى فى قطيعي رحى ، فأردت أن
تزيئي قطيعة الرحم لأم أمير المؤمنين » ، ثم التفت إلى الخيزران
فقالت : « صدقت زينبُ فيما ذكرتُ عنى ، وذلك الفعلُ منى
أحلى هذا المحل . والسعيدُ من تعظ بغيره » ، وانصرفت . فبعثتُ
إليها الخيزران ما أعاد إليها [حالها] ، وكفَّ اختلالها

اليون ملك
الروم
وميناخيل
الطريق

٤٩ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والذى ، أنه سمع بطرس ^(٣) .

(١) مثل بين يديه مثولا : انتصب قائماً

(٢) المثلثة : التسكيل بالميت أو الحى والتشويه . مثل به تمثيلاً

(٣) فى الأصل : « بطوس » ، وسيأتى اسمه فى ص (٩٨)

.. رَجُلًا - يحدث إبراهيم بن المهدي :

أن «نقفورَ الملك» - لما تَأَدَّى إليه الخبرُ بوفاةِ الرِّشيد -
 جَعَلَ ذلكَ اليومَ عيداً للروم ، ثم جعلَ عيداً أعظمَ منه في اليوم
 الذي تَأَدَّى إليه وقوعُ الشرِّ بينَ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ والمأمون ، ثم عَيَّدَ عيداً
 ثالثاً في الوقتِ الذي بلغه خروجُ أَبِي السَّرايا ، ثم خرج إلى البُرْجان
 ليعاربهم فقتل

فسأل بطارقة الروم بطريقهم اختيَّارَ رجلٍ لِيُقَلَّدَ مملكتهم ،
 فاتَّفَقَ معهم على رجلٍ من أبناءِ العرب يقال له «اليون» فلَكَّوه
 - وكان ذا نكايةٍ - فدفع عنهم وَقْدَةَ البُرْجان ^(١) . وقوى اليون
 على ضبط المملكة ، وكانت الروم في أيامه أَعَزَّ منها في أيام نقفور ،
 إلا أنهم أنكروا عليه بَسْطَ اليدِ بالهَيَاتِ ، والعفو عن أَسْرَى
 المسلمين . ثم اجتمعت البطارقةُ الاثْنَا عَشَرَ في مجلسٍ على نَيْدِيهِمْ ،
 فتذاكروا أمره ، واستشنعوا فعله . وكان أغظهم كَذْحًا عليه ^(٢)
 ميخائيلُ البَطْرِيقِ الذي مَلَكَهم ، ومَلَكَتهم امرأةٌ بعده ، فبلغ اجتماعهم
 وما قالوا اليون ، فوجَّه في يومٍ سبَّحٍ إلى ميخائيل فأحضره ، ثم
 دعا بَتْلَيْسَ من شعْرِ بطول ميخائيل ^(٣) ، فأدخل رجلاه في قرارةِ
 التَّلَيْسِ ، ثم أمر بالتَّلَيْسِ فُرْفَعِ وأقيمَ ميخائيل ، فبلغ رأسُ التَّلَيْسِ

(١) الوقدة : الشدة والبأس والالتهاب في الحرب وما شاكلها

(٢) الكدح : السعى الحديد ، ويريد السعى في إيذائه والإيقاع به

(٣) التليس : وعاء كالعية يسرى من الخوص

إلى رأسه . ثم أمر أن يُحشَى رملًا فُحِشَ ، فبلغ الرمل قَمَ التليس .
ثم أمر نَحِيطَ بِشَعْرِ جُمَّةِ ميخائيل ^(١) ، ودعا الطَّابِخِينَ فَأَمَرَهُمْ
أَنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَامًا كَثِيرًا مِثْلَ مَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، ثُمَّ قَالَ
لِلْبَطَارِقَةِ - وميخائيل بين يديه على تلك الحال - : « إِذَا نَحْنُ تَقَرَّبْنَا
فِي غَدٍ ، أَلْقَيْتُ ميخائيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَغَدَّيْنَا وَجَمَلْنَاهُ يَوْمَ
سُرُورٍ » .

قال بطرس : « فَاجْتَمَعَ الْبَطَارِقَةُ بَعْدَ أَنْصَرَفَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ
وَقَالُوا : « هَذَا الْعَرَبِيُّ قَدْ امْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى ميخائيل ، وَنَحَافُ أَنْ
يَحْتَرِي عَلَى كَاتِنَتِنَا » ، فَأَجْعَدُوا عَلَى الْاِشْتِمَالِ عَلَى سَيُوفِهِمْ ، وَالْدُخُولِ
إِلَيْهِ وَقَتْلِهِ ، فَقَالُوا ذَلِكَ . ثُمَّ جَلَسُوا لِلشَّاورَةِ فِيمَنْ يُنْصَبُ
بِمَكَانِهِ ^(٢) ؛ وَأَسْتَشْرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَلِكًا ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِسَائِرِ الْجَمَاعَةِ : « الصَّوَابُ أَنْ تُمَلِّكَوْا ميخائيلَ ؛ فَإِنَّهُ
يَرَى أَنْكُمْ أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ » . فَاسْتَشْرَفُوا إِلَى ذَلِكَ ؛ وَرَأَوْا
مَوْضِعَ السَّدَادِ مِنْهُ . فَأَخْرَجُوهُ مِنَ التَّلِيسِ وَغَسَلُوهُ ، وَأَحْضَرُوا
الْبَطْرِيقَ وَثِيَابَ الْمَلِكِ فَأَلْبَسُوهُ إِيَّاهَا ، وَأَعْلَبُوهُ أَنَّ الْيُونَ قَدْ قُتِلَ ،
وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ

« ثُمَّ صَارُوا إِلَى مَجْلِسِ الْمَمْلُوكَةِ وَالْمَوَاتِدُ مَنْصُوبَةٌ » ، فَقَالُوا لَهُ :
« تَعَدَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالطَّعَامِ الَّذِي دَبَّرَ الْيُونَ أَنْ يَأْكُلَهُ بَعْدَ قَتْلِكَ » ؛

(١) الجملة : مجتمع شعر الرأس إذا طال

(٢) نصب مكانه : أقيم مكانه خليفة له

فقال ميخائيل « عازُّ بالملك أن يَظْعَم طعاماً وفي عُنُقِهِ يَدُ
لإنسانٍ من أوليائه ورعيَّته ، قبل أن يكافئَهُ عنها ، وقد أُحْيِيتُموني
بعد موتِي » . ولست أَطْعَم طعاماً حتى يَخْبُرَني كل إنسانٍ منكم بجميع
حوادثِهِ في مُدَّةِ عمرِهِ . فقال كل واحد منهم ماتنا هي إليه أمله ، بما يصل
ميخائيل الملك إليه . فقَضَى جميع حوائجهم ، وسألوهُ الأكل فقال :
« قد فرغنا مما يجب لكم ، وَبَقِيَ [ما] لله وللملك اليون ، ولا يُحْسَنُ بي
أن آكل حتى أَفعل ما يجب لها » ، ثم قال للبَطريق : « ما جزاء من منع
مَلِيكاً عليه من شَمِّ النسيمِ وَرَوْحِ الحَيَاةِ ^(١) ؟ » ، قال البَطريق :
« يُمنَعُ النسيمَ وَرَوْحَ الحَيَاةِ » ، فقال لهم : « قد حَكَمَ عليكم البَطريق
بما لا يَجُوزُ خِلافُهُ . . وأمر بضرب أعناقهم وأبتدأ بطعامه

٥٠ - وما نقله ابنُ المقفع عن الفُرسِ وقِعالِمُهُ العرب : سيف بن ذي

يَزَنَ وملك
الحبشة

أن ملك الحبشة لما غلبَ على مَلِكِ سِيفِ بنِ ذي يَزَنَ ، خرج
إلى كسرى مستهزئاً إليه ، ومستجيراً به عليه . وكان ملك الحبشة
يُجْرَى على تَرْجُمانٍ كسرى رزقاً مُثْبِتاً على تحريف دَعْوَى
المتظلمين منه ^(٢) . وكان لسكسرى يومٌ في كل شهر يركب فيه ،
ويقرب من عامته ، ومن لا يصل إليه من آتتجعه ^(٣) . فتَوَخَّى سيف
ابن ذي يَزَنَ ركوبه في ذلك اليوم ، فلما رآه قال : « أسعد الله

(١) روح الحياة : برد نسيمها وطيبه وخفته

(٢) الرزق المثيب : المصلح الحال بعظيم غنائه

(٣) اتجعه : أتاه يطلب معروته وخيره

الملك : أنا سيف بن ذى يزن ، أغار على مملك الحبيشة بقرط تعديه
وسوء جواره ، فأخرجنى من مملكة عمرتها أنا وآبائى مُذاكراً
من ماتى سنة . وأنا أسأل الملك أن يُنَجِّدنى عليه ^(١) ، ويردنى
بطَّوله إلى مملكتى ومملكة آبائى . فسأل الترجمان عن قوله فقال :
« يقول : « أنا رجل من جِلَّة العرب ^(٢) ، وقد اختلَّت حالى ،
واضطرب شئلى لشدة الفاقة ، وقد قصدتُ الملك مُستِيراً به ،
ومستميراً منه ^(٣) » ، فأمر له بجائزة . فرأى سيف بن ذى يزن مالا
يشبه ما ابتدأه به

وصبر إلى اليوم الذى يسهُل فيه كلامه وانتظره فيه ، فلما رآه
قال : « أنا أيد الله الملك ذو نعمة وكفاية ، وإنما رَفَدْتُ على
الملك لأقتبس من عزة ، وأتصر بقُوته » ، فسأل الترجمان عما قال ،
فقال : « يقول أمرت بما يقصر عن حاجتى » ، فأمر له بجائزة أخرى .
فوقف على تحريف الترجمان لكلامه

فانتظره فى اليوم الثالث ، فلما رآه قال : أيد الله الملك ، إنَّ
النَّادِرَ ، ... فأدبى إليه هذا الحرف ، فقال : « الحائن » ... فرأى
فى وجه الملك الاستفهام ، فقال : « الكذاب » ... فأشار إليه الملك

(١) مجده على فلان : أغامه وأعانه عليه

(٢) الجِلَّة : جمع جليل ، وهو الكبير العظيم

(٣) استمار فهو مستمير : طلب الميرة ، وهى الطعام والرزق

وما لهما

بيده من هو؟ فأوتى إلى الترجان ، فأحضر الملك ترجاناً آخر ،
فقص عليه قصته ، فضرب عنق الترجان ، وأحسن تلقى سيف بن
ذى برن لما تبين منه فى التأثى لإفهامه (١)

ثم أحضره مجلسه فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يُؤثره
من أصناف الناس؟ فقال له : « أسأل الملك أن يُطلق لى من محاسبه
الكهول ، فإنهم أصبر فى المارك ، وأسمع بالنفوس » ، فأطلق له جملة
من [فى] الحبس كهولاً بأسرهم ، غملهم فى مراكب ، وركب
معهم حتى وائى مملكته

فلما نزل جميعهم ، أحرقت المراكب ، واعتمد ذلك سرأ منهم .
فلما نظروا إلى المراكب قد أحرقت ، قال للرجال : « إنه لا يحسن بكم
التعذير فى القتال فهلكوا » (٢) ، ولكن جدوا جد من لا نجات له
فى البحر . « فجرد الجيش العناية . وصدقوا حتى برزوا على من
أقام بمملكته » (٣) ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة ،
وقهر ملكها وأتقى جانبته

٥١ - وحدتى هارون بن ملول ، قال :
تقلد أبو الوزير - خال أبى أيوب - الخراج على حال
أبو الوزير
وجاعة من
العمال

(١) تانى لى : ترفى فى إتيانه وإدراكه

(٢) عذر فى الأمر تعذيراً : قصر بد جرد يباينه العذر فى الإخفاق

(٣) برز عليه : فاق عليه وغلته

أضطراب من الأولياء . واستعمل - من فرط الاستقصاء على أبواب الخراجات ، وإخراج البقوط ^(١) عليهم - ما ثقلت به وطأته على الناس . وكان له كاتب ذهب عن اسمه ، في النهاية من الجزالة والضبط ^(٢) ، وكان يُعزى إليه أكثر صنيع أبي الوزير ، فقال لى هارون : « فقصدته جماعة من الأولياء ، فأحس بالشر فيهم ، فأغلق الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفهم ، فكذب بفحمة : « يا سيدي قتلني فلان وفلان » ، رسمى جماعة رؤسائهم ، وكسروا الباب ودخلوا إليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة ، فقبض عليهم فصدقوا عنه وقتلوا به ،

٥٣ - وكان لرجل من جلة كتاب الجيش بمصر - يعرف بابن الأبرد - رغبة في وصفه بالنصح في أعمال السلطان ، ولا يسه محمد بن أبنا [القائد] ، فقدم العناية به والتعصب له ، ومكن له عند خمارويه محلا رد إليه بعض أعماله من الخراج . واحتاج فيه إلى كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم ^(٣) - يخلف [ابن] الأبرد فيما أسند إليه - ، فكان يسعى به إلى كاتب خمارويه .

ابن الأبرد
وكاتبه

(١) البقوط : جمع بقط ، وهو ثلث خراج الأرض والبساتين أو ربه يلتزمه المعامل

(٢) الجزالة : جودة الرأي وأصائه

(٣) ارتاد الشيء : طلبه متخيلاً

فكتب يومارقة تشتمل على ماكرهه ابن الأبرد من التغميز به
والانتقاص له ^(١)، ويشير فيها بأشياء تُفسد محله، وبعث بها إلى
كاتب خمارويه. فغلط الغلام وجاء به إلى ابن الأبرد، فاستعرض
فيها أشياء قبيحة، وفارق الكاتب. ورأى الكاتب أنه قد أحرز - بما
أنه من السعاية - مكانةً عند كاتب خمارويه. وقُتل خمارويه،
وثبتت يد كانه على الأمر، فرام نصر بن القاسم أن يدخل في
جملته، فامتنع من ذلك وقال: «من سعى إلينا سعى بنا»، فأت نصر
ابن القاسم كدأ

عمرو بن
العاص
وتسكرو

٥٣ - وسمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول:

«وُجد في أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه
على مصر كان يتشكر ويخرج وحده، متشبهًا بالرجل من عامته،
ليرى ما عليه القبط من النية للسلبيين. فتبادى به السيرُ راجلاً حتى
لحق بطرف من الفسطاط، فرأى جماعة قد التأمّت على سوء
فيه ^(٢)، فقال لها: «اعملوا بي كل ما تُؤثرون من السوء ولا تردوني
إلى يد الأمير، فإنى هربت منه»، فقال بعضهم: «ردوه إلى يد الأمير
فإنه يقتله، ويكون لكم بذلك عارقة عند الأمير». فساقوه إلى دار
[الإمارة]، فأخذ يتصوّر ويتأبى في سياقته حتى قُرب من الدار ^(٣)،

(١) التغميز: الطعن على الرجل وإظهار غيظه، أى عيبه

(٢) التأم القوم على الشيء: اجتمعوا عليه

(٣) تصوّر: تلوّى واضطرب وصاح من خوف أو وجع أو جوع

فقام إليه الشرط . فقال : « لا يَفْوَتَنَّكُمْ مِنْهُمْ أَحَدًا » ، فجمعوا له ،
فأتى على آخرهم ، ولم يعاود التسكر .

* * *

الدقاي
والخناق

٥٤ - وكنت أعرف شيخاً في أيام محاروبه ، حُلُو النادرة ،
مليح الالفاظ ، يُعرَف بالدقائي ، وكان معاشه من التوصل بكتب
الولاء إلى معلمهم . فحدثني أَنَّهُ خرج بكتيب إلى الشرقية ، فالتقى
مع رجل في زِي بعض المسانية من الأطباء ^(١) : « وهو على حمار
بحرّجين ، وكنتُ على حمار . فاستخبرني عن صناعاتي ، فتحسّنت عنده
بأن قلت : « أنا تاجر في الغلات » . فطمع فيّ ، وكان مُبْتِجاً ، ^(٢)
فقال لي : « هذا موضع طيّب ، فلو أكلنا فيه ا » ، فقات : « ذاك
إليك ا » ، فأخرج من أحد حُرْجيه رغيفين مَشْطُورين ، ^(٣) فوضع
أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومعنى
يسعى به ، فشربتُ نفسي إلى الرغيف الذي كان بين يديه .
فأبدلته حتى صار بين يدي وصار رغيف بين يديه . وجاء بالماء ،
وابتدأنا بالاكل ، فما ابتلع لقمة حتى شخّص بصره وتمدّد ^(٤) ،

(١) 'المسانية' هم المناوية الزائدة أصحاب ماني

(٢) البتج . نبات يتخذ ، إذا استعمل خذرو فتر وأرقد . وينجه : سقاه منه

(٣) المشطور : المقطوع شطرين ، والشطير : نصف الرغيف والجمع
شطائر ، وستاق

(٤) شخّص بصر الميت : إذا ارتفعت أجفانه إلى فوق وجعل لا يطرف

واجتاز بنا جماعة فقالوا: «الصاحب ١»، قلت: «لا أدري والله!»، فقالوا لي: «أنت مبنيج بنجحت هذا المسكين!»، وسأقوني فكان من لطف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان يبلدهم ويحاورني يتقلد المعونة، فسأقني القوم إليه، والرجل محمول معنا، وهم يقدودون الحمارين، وقالوا له: «هذا مبنيج وجدناه!». فلما رأني ضحك لي وقال: «متى تعلمت التبنيج ٢»، قلت: «اليوم»، وقصصت عليه خبري، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برّي. ففتش خُرجه، فوجد فيه شطائر تبنيج وشطائر خالية، ووجد معها أوتاراً للخنق، وأحجاراً للشدخ. فشدخ رأسه بها، وخنقه بذلك الأوتار حتى فاض ٣»

وإذ وقينا ما وعدناك به - من أخبار المكافأة على الحسن والقيبح - خاتمة المؤلف
لباب الثاني
مارجوناً أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير. وتطلب العارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر. وإبعادها عن سورة الانتقام في القبيح ٤، وقد قالوا: الخير بالخير والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم... رأيت أن أصل ذلك - حفظك الله - بطرف من أخبار من أبشلي نصبر. فكان تمره صبره حسن العقبى: لأن النفس إذا لم تُعن عند الشدائد بما يجدد قواها، تولّى عليها اليأس فأهلكها

(١) شدخ رأسه: كسرهما، وفاظ الرجل: خرجت روحه فاض

(٢) سورة الخير وغيرها: حدثها وشدتها ووثوبها في الرأس

وقد علم الإنسان أن سفورَ الحالة عن ضدّها حَتْمٌ لا بدّ منه ،
كما علم أن انجلاء الليل يُسفر عن النهار . ولكنّ خورَ الطبيعة أشدّ
ما يلازم النفس عند نزولِ الكوارث ، فإذا لم تعالج بالدواء ،
اشتدّت العلة وازدادت المِحنة . والتفكّر في أخبار هذا الباب ،
بما يشجّع النفس ، ويعبّثها على ملازمة الصبر وحسن الأدب مع
الرّب عز وجل ، بحسن الظنّ في مَوَاتاة الإحسان عند نهاية
الامتحان . والله وليّ التوفيق

٣ - حسن العقبي

٥٥ - [سنط من الأصل أول الكلام]

إلى بالشئ بعد الشئ مما تخلف عن تلك الوديعة ، وعجوزٌ تختلف ابنا الاخبارى
وغلّامٌ يتشطر بذلك ، لها ولدٌ يتشطر ويلعب بالحمام ^(١) ، فوردت عليهما بذرة
دراهم ^(٢) . وقد انتهى بهما الدسي في الإيداع . فقالا للمعجوز :
« صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تؤدعيها لنا عنده » ، فضت
بها والغلام معها ، فحدثنا الغلام قال :

« صرنا إليه وقد فتح باب البرج وأخرج فراخاً زغباً ^(٣) ،
وهو ينظر إليها ، فأدنا الرسالة إليه ، فقال : « ليس لي خزانة ولا
صندوق ، ولكن اجعلها في هذه المحضنة الخالية من البرج ^(٤) » ،
قال : « فعلت » .

« وانصرفنا جميعاً على أنه يمزقها مع الغلمان وسباق الحمام ^(٥) .

-
- (١) شطر تشطارة وتشطر : خرج عن أهله وتركهم وأعيام خبثاً ،
وهو الشاهر وهو صاحب الفتوة والمروءة والفتوة
(٢) البذرة كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة
آلاف دينار والجمع : بدور وبدرات
(٣) زغب : جمع أزغب ، وهو فرخ الطائر يكون عليه الزغب ، وهو
ولد ما يبدو من دقاق ريشه

(٤) المحضنة : الموضع الذي يحضن فيه الحمام على بيضته

(٥) السباق : هم الذين يتراهنون على سباق الحمام

ثم صَاحَ ما كان الثالث من أمرنا^(١)، واطمأنت نفوسنا بما كان أعافنا. فبعثنا فيما كنّا أودعناه الشيخ، فقال للغلام : « غَاطَتَ بِي ، وليست الرسالةُ إلَيَّ » ، فلما رجع بالجواب إلينا ، تحيرنا وركبنا إليه ، فاستمر في الجحود ، وتضاحك عما لقيناه به ، ورجعنا وقد لحقنا من قَدِّ الوديعه أكثر مما كنا نخافه من التكبّه . وميّلنا بين مُطالبته بما نُنبّه به على مقدار ما أودعناه^(٢) ، ونُطمع من خفائه ، وبين الإمساك عنه ، وترئّص الأيام به ، فالت نفوسنا إلى الإمساك لما اجتمعت لنا الصغائر المُفادّرة للعدل^(٣) . واجتازت بنا العُجُوز فقالت : « قد رددنا ما أودعناه وبقى ابني » . واقتضت الغلام يحمل البدره فبعثنا به معها

فحدثنا الغلام قال : « وافيناه بين يدي السُّرُج ، فأدّت المعجوز إليه الرسالة ، فقال للغلام : « ادخل نُفِذْها من المَحْضَنَةِ التي خلقتها فيها » ، فصار بها إلينا الغلام وعليها ذَرَقُ الحَمَامِ^(٤) ، فوزّناها فوجدناها على ما كانت عليه . فكثرت تعجيبنا بن أماته ؛ وأخرجنا من البدره أَلَفَ درهم . وتقدّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه . فرجع الغلام إلينا فقال : « رمى بها ابن رَدَمَتْنِي » . « دَأَثَرْنَا ارتباطه^(٥) ،

(١) الثالث الأمر : اختلط والتف وقصد

(٢) سيل بين الأمرين ، ومايل بينهما : فاضل ووازن

(٣) فكنا في الأصل

(٤) ذرق الطائر : سلحه وخروء

(٥) ارتباطه : أوثق صلته به

وقلنا للمعجوز : « صيرى به إلينا الساعة ! » ، فوافانا ، فقلنا :
 « انبسطا إليك فانقبضت عنا » ، فقال : « الخيانة - أعزكم الله -
 أمهل من أخذ أجره على الأمانة » ، فقلنا : « جزاك الله خيرا ، فقد
 وجدنا فيك ما لم نجد في غيرك » ، فقال : « ونخلف عنكم شيء ما
 أودعتموه » ، فقلنا : « نعم ! » ، فقال : « عرفوني ، فإنني أرجو
 أن آخذكم لكم بالطب حيلة » ، فرأيناه - لما فيه من فضل النفس
 وكرم السجية - أهلا لأن نبئنا ونجدنا ^(١) ، فأخبرناه : فقال :
 « يلبنى أن تتقدما إلى بعض من تثقان به من غلماننا ، أن يتيقظ ؛
 فلعلني أن أناديه الليلة » ؛ فقلنا : « وما تريد بذلك ؟ » ، فقال : « ما لا
 يجوز أن أبديه ، وأرجو عون الله عليه ، والتفريج عنكما به » ، ففعلنا
 ذلك ، وما يتناول سؤلنا إلى ما أتاه ^(٢)

لجمع إخواننا له في عدة كثيرة من الشطار ^(٣) ، واتنعم على
 المستودع وقال له : « ماجئنا لنهيك ، ولا تمرض لشيء من مالك ،
 وما جئنا إلا لوديعه آبنى عمر الأخبارى . فإن أدبتهأ خرجنا
 وكأنا ما دخلنا . وإن جمحت واعتمدت بصياح قتلناك الساعة ،
 وسهل علينا عقوبتنا فيك وقتلنا بك ، لأننا نرزق الشهادة في القتل
 والثوبة ، إذ كنا نجاهد عما اخزلته ^(٤) » ، وضرب إلى لحيته

(١) به وجده : أطلمه على ما يكم من الأسف والحزن

(٢) السؤل : البغية

(٣) الشطار جمع شاطر انظر ص (١٠٧)

(٤) اخزل المال : اقتطعه وانفرد به

وَأَعَجَلَهُ ^(١)، فقال : « هي في هذه الخزانة ، ودعا بغلام فقال :
« أَخْرِجْ جَمِيعَ مَا [أَرَدَعْتَاهُ أَبْنَى] عُمْرٍ » ، فأخرج سَفَطًا كَانَ فِيهِ
جواهر ، وَسَفَطًا ^(٢) فِيهِ أَثَوَابٌ وَفِي مَذْهَبَةٍ صِحَاحًا ، وَبُدُورًا فِيهَا
مَالٌ ^(٣) ، فقال : « وَاللَّهِ إِنِّي خَافَتَ شَيْئًا لَنُظَلَّنَّ دَاكَ ^(٤) ، وَلَئِنْ
كَنتَ أَدْبَيْتَ الْإِمَانَةَ لَنَسْكُونَنَّ أَرْيَاءَكَ وَالْمَقِيمِينَ بِأَمْرِكَ ،
فَوَاقُوا أَبَابَ مَنْزِلِنَا ، فَصَاحُوا بِالْغِلَامِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْوَدِيعَةَ ،
فَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَحَدَّثُونَا بِحَدِيثِهِمْ ، وَقَالُوا : « اسْتَعْرِضْنَا
وَوَدِيعَتَكُمْ ، فَتَنَحَّنَا فِي الدَّهْلِيزِ حَتَّى تَفْرُغًا وَتُخْذِرَنَا : هَلْ بَقِيَ مِنْهَا
شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ » ، فَلَمَّا عَرَضْنَاهَا عَلَى كَتَبَتِهَا عِنْدَنَا ^(٥) ، مَا غَادَرَتْ شَيْئًا
مِنْهُ ، وَعَادَتْ بِمَا رَدَدْنَا إِلَيْنَا نَعْمَتُنَا ، وَآتَمَحَسَمَتْ فَاقْتَنَّا ، وَلَمْ نَجِدْ
فِي الْجُمَاعَةِ مِنْ قَبْلِ شَيْئٍ بِمَا بَدَلْنَاهُ ، وَانصَرَفُوا »

وَجَلَّ عَمَلُ الْحَالِ وَالْعَبَاسِ الْبِرْمَكِيِّ ٥٦ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي نَجْرٍ قَالَ :
« كُنتَ أَكْتُبُ فِي حَدَائِقِ الْعَبَّاسِ بْنِ خَالِدِ الْبِرْمَكِيِّ ، وَكَانَ
طَوِيلَ اللِّسَانِ خَشْيَةَ الْعَظْبِ . فَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي دَارِهِ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ رَثُ الْهَيْئَةِ ،

(١) ضرب إلى لحية : أي ضربها بيده فأمسكها

(٢) السَفَط : الوعاء الذي تعي فيه الثياب

(٣) البُدُور : جمع بدرة ، انظر ص (١٠٧)

(٤) طَل دَمَهُ : أهدر وأبطل دية

(٥) التَّيْت : جريدة ثبت فيها الأشياء - (الكشف)

فأكب عليه فقال : « ألسنت ابن فلان صديقتنا ؟ » ، فقال : « نعم ،
ياسيدي ! » . فقال : « قد كان حسن الظاهر جميل الهيئة ؛ فما بلغ بك إلى
ما أرى ؟ » ، قال : « كان تجمله أو قى من عاينته ! و توتى ، فكنت
أبلغ بما يستعمله الموقى على تجاهه ^(١) ، إلى أن خان طبعى البارحة
ولم أطق ستر ما بي فقصدتك » ، فدعا بمائة درهم ، وقال : « تمسك
بهذه إلى أن أنظر لك فى عائِد عليك من الشغل » . فلما قام من عنده
قال للغلام يثق به : « نُصّر أتر هذا الفتى ؛ فانظر ما يبتاعه بهذه
الدراهم وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وأعرف المنزل وصّر إلى » .
فرجع إليه وقال : « ياسيدي اهذا غلام عيارا ^(٢) ابتاع بتيق
وثلاثين درهما تميذاً وسكرًا وعسلاً ولحماً كثيراً وحوائج
الأعراس ^(٣) ، وأخذ طبّاخاً من طبّاخى الأعراس ، وأحسب أن
عنده دعوة وقد عرفت منزله » ، فقال : « دعه »

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه ، واستثقل
جلوسه بين يديه ؛ فقال : « ياعمى وسيدى ليس يشبه هذا اللقاء
مالقيتني به فى الأولى ! » ، قال : « كنت فى الأولى راجياً لصلاحك ،
وأنا اليوم آيس منه » ، فقال : « وكيف ظننت ذلك ؟ » ، قال :

(١) تبلغ بالشئ : اتخذه بلفة يكتفى بها

(٢) العيار : أصله الكثير المحيى والذهاب الذكى الطواف ، وهو

هنا (البلطجى)

(٣) السميد : دقيق تتخذ منه الحلوى

« أخبرني غلامي أنك أنفقت إلى أن بلغت منزلك نيفاً وثلاثين درهماً ، وكان حقك أن لاتزيد على ثلاثة دراهم » ، فقال : « لو عرفت تخبري لقدمتُ عُذري » ، قال : « ما خبرك ؟ »

قال : « كنت مع تضايقٍ حالي ، أُمِسك نفسي عن المسألة ، وأقتصرُ وأهلي على البُلغة ^(١) . وأنا ساكنٌ وأهلي في ظهر دار فلان - ووصف رجلاً ظاهراً اليسار من التجار - وقال : « له طاقاتٌ في مطبخه تُفِضُ إلى منزلي . فأولم وليمة لأشك في حضورك إياها . فشرِقَ منزلي بروائح الأطعمة ، وكانت الصبيّة من صيداني تخرجُ تقول : « رائحة جدي يُشَوِّى ! ، وأخرى تقول : « رائحة نَقَاتٍ تُثَقِّلُ ! ، وهذه تقول : « يا أبة ! أشتهى من هذا الفالودج الذى قد شاعت رائحته لقمة ! » ، وقولهم يُقرِّح قلبي ^(٢) . وأملت أن يدعوني فأَتَعَمَلُ التزليل لهم ^(٣) ، فوالله ما رآنى أهلاً لذلك ، فقلت : « ولعلّه إذ تَقَصَّتْ عنده من منزلةٍ من يدعوني أن يبعث إلى ؟ فوالله ما فعل . فَبِتْ بليلة لا يبيتُ بها الملدوغُ ، فأصبحتُ في الغداة فكنت أوثقُ في نفسي من سائر مَنْ بمدينة السلام . فلما أعطيتنى تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائج أُصلِّحُ منها ما اشتوهه ، فأكلوا أياً ما منه ، وهم يدعون الله في الإحسان إليك ، والحَلَفِ عليك »

(١) البُلغة : كل ما يكتفى به

(٢) يقرح قلبه : يجرحه ويملاه قروحاً

(٣) التزليل : حمل الطعام من الوليمة عند الانصراف عنها

فقال له العباس : « أحسنت ! بارك الله عليك ! » ، ثم صاح :
 « يا غلمان ! اسيرُجوا لي » ، وليس ثيابه ، وركب وركبتُ معه ،
 ودخل إلى صاحب الصنيع ^(١) فقال : « دعوتني وجماعةٌ وجُوه
 بغداد إلى طعام مَقَّتنا الله عليه ! وعرضت نعمتنا للزوال ، وأنفسنا
 إلى احترام الأعمار ! » ، وقصَّ قصَّةَ الفقي ، وقال : « عزمتُ على
 أن أصدق عن كلِّ من حَضَرَ وليمتك ^(٢) ، وتكونُ سبياً لتخلف
 الناس عنك ، والإمساك عن إجابتك أخرى الليالي » ، فقال :
 « أنا أقدى إذاعتك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار » ، قال :
 « أحضرها » ، فأحضرها ، فقال : « اقْبِضْها » ، فقبضَها
 ثم ركب إلى جماعةٍ فقال : « أعطوني في مَعُونَةِ رجلٍ من أبناء
 النِّعَمِ اختَلَّتْ حاله » ، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ، ورجع
 إلى منزله . وقد كان أمرَ الفقي ألا يَرَحَ منه . فأدخله إليه ، وقال :
 « فِيمَ تهش إليه من التجارة ؟ » ، فقال : « في صناعة الانماط ^(٣) ،
 فإنها صناعةٌ أسلافنا ، ومنَ بها يَعْرِفُ حُقُوقَنَا » . فدعا برجلٍ منهم
 حَسَنَ اليسار ، فأخرج إليه الألف الدينار التي أخذها ، فقال : « هذا
 المالُ لهذا الفقي ، فليكن في دُكانك ، واشترِ به ما يُصلحه من
 المتاع وبُصره به » ، ثم قال للفقي : « احذر أن تُتَفِقَ إلا من رِبح » .
 فانصرف الفقي ، وقد رُدَّ عليه سَتْرُهُ ،

(١) الصنيع : الرِّبَايةُ

(٢) صدق عنه : أخرج صدقة

(٣) الانماط : جمع نمط ، وهي ضرب من البسط له نخل رقيق

غَلَفَ لِي أَحَدُ بَنِ أَيْمَنَ : « أَنْ بَضَاعَتَهُ تَثْمُرُ » ^(١) ، وَأَرْبَاحُهُ
آتَتْهُ ، وَعَاطَلَ السُّلْطَانُ ، وَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ التَّجَارِ وَجِلَّتْهُمْ ،

أَبُو يُوسُفَ ٥٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي حُقَيْبَةَ ،
عَنْ أَبِيهِ عَقْبَةَ ، - وَكَانَ عَقْبَةُ هَذَا مُصَادِقًا لِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي
وَرِثِيًّا لَهُ ^(٢) ، - قَالَ :

« كَانَ أَبُو يُوسُفَ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى أَنْحَاءِ الْفِقْهِ ^(٣) ، فَأَحْسَنَ الْقَوْلَ
عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ؛ وَكَانَتْ زِيَادَتُهُ فِي الْعِلْمِ ، بِمِقْدَارِ تَقْصَانِهِ فِي الرِّزْقِ -
وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْتَمِرُّضُ حَالَهُ بِالسُّكُوفَةِ ، يَشِيرُ عَلَيْهِ [بِالرُّحْلَةِ] .
إِلَى بَغْدَادَ . وَيَرَى أَبُو يُوسُفَ صَوَابَ مَا يُشَارُ بِهِ عَلَيْهِ ؛ فَيُقْعِدُهُ
تَقْصَانُ حَالِهِ عَنِ الْمَرْكَبِ الْفَارِهِ ^(٤) ، وَاللَّبْسَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ مِنْ حُلٍّ
عَلَّمَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتُزْعَ إِلَيْهِ مِنْ أَقْصَى النُّوَاحِي ^(٥) »

« وَكَانَ لَهُ غِلَامٌ كَانَ لِأَيِّهِ ، حَازِقٌ بِعَمَلِ الْجَوَاشِنِ وَالذُّرُوعِ
وَكَثِيرٌ ، مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ ^(٦) ، وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) ثَمَرَتْ : نَمَتْ وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهَا وَأَرْبَاحُهَا

(٢) تَرَبُّ الْمَرْأَةِ : هِيَ صَاحِبَتُهَا الَّتِي وَلَدَتْ مَعَهَا ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَهُوَ
« مُدَّةٌ وَسَنَةٌ »

(٣) أَنْحَاءُ الْفِقْهِ : وَجُوهُهُ وَأَبْوَابُهُ وَنَوَاحِيهِ

(٤) الْفَارَةُ : النَّشِيطُ الْحَازِقُ الْقَوِيُّ مِنَ الدُّوَابِّ

(٥) زَعَّ إِلَيْهِ : قَصَدَ مِنْ بَعْدِ

(٦) الْجَوَاشِنُ : جَمْعُ جَوْشَنَ : دَرَعٌ وَزَرْدٌ يَلْبَسُهُ الصَّدْرُ وَالْحِزْمُومُ

مِنَ الْعَقَقِ

بما يقوته في حاضرة الكوفة ، ولا يُعينه على حضرة السلطان .
فرغب في الغلام عامل للمهدى على الكوفة - قد ذهب عني اسمه - ،
فطلبه من أبي يوسف - وهو يومئذ من أصاغر رعاياه - ، فباعه
منه بتسعين ديناراً

« وخرج عند ذلك إلى بغداد ، فارتاد دابةً وثياباً

« وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي - أحد أصحاب الأعمش -
محلٌّ من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تتمتع ببغداد في الفقه
أجل من مجلسه . فدخل أبو يوسف مع كافة من دخل ، من غير
تسليم على عبد الله ، ولا مقدمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف
حسن الصورة ، جميل الإشارة ، لطيف التخلص والاحتجاج ،
فقبله قلب عبد الله ولم يعرفه

« وجرت مسائل وأجوبة ، كان حظ القياس فيها مقصراً ، وكان
الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن
الاحتجاج وجوّد ، وأعان على هذا طول لسانه وحسن بيانه ، ثم
سألهم فقصروا عن الجواب ، فأبان عنه لهم برفق . فلما تقضى
المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه وتعريفه مكانه ، وسأله أين
تزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ، ودعاه إلى
منزل بالقرب منه ، وقرّر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي ،
فوصله بالمهدي وأثنى رزقه ^(١) ؛ ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مدة

(١) أسناه : جعله شيئاً أي رفيحاً عظيماً

أيامه ؛ وبلغ مع الرشيد مالم يبلغه عالم بعلمه ، ولا محبوب بمرتبه ،

على بن سند وأبي الجيش ثابت ٥٨ - وحدّثني علي بن سند - وكان انقطاعه في أيام الموفق والمتنّض إلى أحمد بن محمد بن بسطام ، وكان آل عبّيد الله بن وهب يَحْقِدُونَ [عليه] سِوَالِفَ مُنْكَرَةٍ ، ولم يكن مع عبّيد الله من سوء المباداة ماع القاسم آبنه ^(١) . فلما حُبِسَ أحمد بن محمد ابن بسطام ، قُبِضَ علينا معاشرَ خلفائه في الأعمال ، وأُثْبِتْنَا في جَرِيدَةٍ ^(٢) ، وتقدّم بإحضارنا إلى داره ، فبُثْنَا من الحياة - ، وقال لي علي بن سند :

« فلم يكن في جماعتنا أضعفُ حالاً مني ولا أقلُّ ناصراً ، فرأيت الموتَ . ومُحِلْنَا إليه ، وقد أَحْضَرَ الجَلَّادِينَ وَالسَّيَاطَ وَالْمُوكَلِّينَ بِالْمَعَابِرِ ^(٣) ، قال : تقدّم منا رجلٌ من جِلَّةِ أصحاب أحمد بن بسطام فُضِرَ ، وأُخِذَ خُطْلُهُ بما أعلم أنه لا تصلُ إليه يَدُهُ . وبين يديه رجلٌ ظهَرُهُ إلينا لا نعرفه ، فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : « هَنَنْتُ عَارِفَتَكَ ! » ، فقال : « ذَرُهُ ! حتى يرى عِظَمَ ماسلم منه بك » ، فقال : « هو يراه غداً » ، فقال القاسم : « سلّموا علي بن سند - لا رعاه الله ! - إلى صاحبه أبي الجيش ثابت » ،

-
- (١) باداء مباداة : أظهر له مافي نفسه من عداوة أو غيرها
(٢) الجريدة : ورقة تجرد فيها الأسماء وتكتب (كشف بيان)
(٣) المعابر : هكذا بالأصل ، ولا أدري ماهو ، ولعله يريد بعض آلات التعذيب

فرايته وقد قبل يده ، وردت على الحياة بشفاعته ، وأطلقت من غير مصادرة ولا عقوبة ^(١)

« فلما رجع ثابت إلى مكانه ، وصار في رسول القاسم إليه ، قال لي : « مررتُ اسمك في الجريدة فاستوهبتك ، لأن أباك كان من إخواني » . فجزوته الخير على رعايته والدي ، في

عبد الغوري
وليس

٥٩ - وحدثني محمد بن صالح الغوري ، قال :

« كانت لي بضاعة أعود بفضلها على شملتي ، فأفترقتُ في معاملات في الصعيد ، وخرجتُ إلى من عاملته لجمعتها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد الفسطاط في رُقعة كبيرة الجمع ، فله كان يُنتصفُ طريقنا ، وأتى جمعٌ من الصماليك فسلم الناس جميعاً . ودَهَشْتُ ^(٢) ، فرأيتُ منهم شاباً حسن الصورة ، فقلت له : « والله ما أملك غير هذا الكيس ، فارمهُ لي عندك ! » ، فقال : « وأين بيتك بالفسطاط ؟ » ، فقلت : « في دور حبَّاس بن وليد » ، فقال : « ما اسمك ؟ » ، قلت : « محمد الغوري » ، قال : « امض لشأنك » . وجاءَ منهم من قاعَ ثيابي وسراويلي ، وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوَّغتُ واحداً منهم جميع ما كان معي ^(٣) ، ودخلنا إلى

(١) المصادرة : توثيق الاتفاق على مال يذبح يفرق على أدائه أحد الطرفين

(٢) دهش : تخير واضطرب

(٣) سوَّغهُ : أعطاه له سائغاً سهلاً

الفسطاط ونحن فقراء . فرجع كل واحد منهم إلى ما تخلف له ،
وبقيت ليس معي درهم أنفقهُ

« وإنى لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة ،
حتى رأيت رجلا قد وقفَ بي ، فقال لي : « ما هنا منزل محمد
الغورى ؟ » ، قلتُ : « أنا هو ! » ، ولأول الله ! ما اهتديتُ إلى الرجل
الذى أعطيته المالَ ، لأنه كان عندى أولَ مالٍ ذاهبٍ ، فقال لي :
« عَنَيْتَنِي ! » ^(١) ، وأخرج الكيس فدفعه إلىّ ، فَرُدَّتْ علىَّ جِدَّتِي
وتطعمتُ الحياةَ ^(٢)

وكان بالقرب منّا قائد يُعرَفُ بابن قَرَأ ، كنتُ مُعَامِلًا له وكان
له محلٌّ ^(٣) ، فسألت اللصَّ الميَّتَ عندى فَقَتَلَ . فأصبحت وصرْتُ
إلى ابن قَرَأ وقصصت عليه قصّة الرجل ، فقال لي : « العُفْ لي فيه ،
فوالله لأنوّهَنَ بِاسْمِهِ ، ولأَكْفِثَنَّهُ عَنْكَ » . فرجعت إليه فأخبرته ،
فوالله ما آرتاع ولا اضطرب ، ومَضَى معي ؛ فأحسن تلقّيه ، وخلعَ
عليه ، وصيَّره سيارَةَ لَعْمَلِهِ ^(٤) ، وضمَّ إليه عِدَّةَ وافرَة . ولم يزل في
حَيِّزِهِ إلى أن مُوتَنيَّ »

(١) عَنَيْتَنِي : أتعبتني

(٢) الجدة : الوفرة والغنى ، وتطعم الشيء : ذاقه وتمتع به

(٣) يريد : كان له محل رفيع ومكانة

(٤) وردت هذه الكلمة قبل صفحة ٣٨ ولست أحقق معناها ، وهي

على كل حال : عمل من أعمال الدولة في ذلك العصر

٦. - حدثني أحمد بن أبي يعقوب ، عن أبيه ، عن جده مصقلة ومعن

ابن زائدة

واضح ، قال :

« كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور ، وكان مصقلة بن حبيب ينقل عنه إلى جعفر ما يكره ، ولا يُمكنُ المهدي أن يسطو على مصقلة ولا يمسّه بسوء . فلما تولى الخلافة نذر دمه ، فاخفى . فحدثني مصقلة أنه نبأ به موضعه الذي كان به ، فخرج مستترا يريد غيره ، فلحقه رجل من أعدائه . وصاح في أصحاب الأرباع ^(١) ، « هذا بُعِيَة أمير المؤمنين » ، « فتنسرع إلى الشرط ورأيت الموت عياناً . فينا أنا في أيديهم ، اجتاز بي معن بن زائدة ، فصحت به : « ياسيدي يا أبا المنذر ! أجرني أبارك الله » . فقال للشرط والرجل المتشبه بي : « خلوا عنه » ، فقال الرجل : « ماذا أقول لأمر المؤمنين ؟ » ، قال : « تقول له : إنه عندي » ، ثم أمر بحمل علي جنيته من جنائبه ^(٢) ، وسار بي إلى منزله ، وقدم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام قيل له : « وافي رسولُ أمير المؤمنين » ، فقال لولده : « أقضوا حقَّ عليكم بالآتسألوا مصقلة ، فقد استجار بي » . فحلفوا له

(١) أصحاب الأرباع : هم فيما نستظهر من بعض النصوص ، الذين يتولون مراقبة المسافرين ، والنظر في أحوالهم ، ويكون لهم حق حبس الداخلين إلى المدينة عن دخولها ، وقد مضى ذكرهم أيضاً في ص (٥١) والأرباع هنا هي النواحي : أي نواحي المدينة ومداخلها

(٢) الجنيبة : هي الناقة التي يحمل عليها الطعام والميرة ، واجمع جنائب

على ذلك ، وركب

« فلما رآه المهدي قال : « تُجِيرُ عَلَيَّ يَا مَعْنُ ؟ » ، قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « ونعم أيضاً ؟ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! قَتَلْتُ فِي دَوْلَتِكَ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَدُوٍّ ، وَلَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أُجِيرَ فِيهَا عَدُوًّا وَاحِدًا ! » ، قال : « نعم تستحقُّ ذلك ، قد وهبناك دمه » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! ليس هكذا يُنْعِمُ مِثْلُكَ بِالْحَيَاةِ ! إِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ بِحَيَاتِهِ فَاجْعَلْهَا فِي خَفِضٍ عَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِكَ ^(١) » . قال : « يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! لَا تَسْتَوِي جَائِزَتُكَ وَجَائِزَةُ عَبْدِكَ مَعْنُ ! هَذَا مَا سَمَحْتَ لَهُ بِهِ » ، فقال : « وَأَدْفِنُوا إِلَى جَارٍ مَعْنِ أَلْفَى دِينَارٍ » . فَخَلَعْتُ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَمَنْتُ عَلَى نَفْسِي » .

٦١ - وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، قَالَ :
« لَمَّا تَوَفَّى خُمَارُويَه ، قَبَضَ عَلَيَّ - وَعَلَى مُضَرَ وَشَيْيَانَ ابْنِي أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - جَيْشُ بْنُ خُمَارُويَه ، وَحُبِسْنَا بِدِمَشْقَ . فَلَمَّا قَلَّلَ إِلَى مِصْرَ ، حُبِسْنَا فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمِيدَانِ مَعَهُ . وَكَانَتْ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ نَجْتَمِعُ عَلَيْهَا . وَكَانَ فِي الْحَجَرَةِ رِوَاقٌ وَبَيْتَانِ ، وَجُلُوسُنَا فِي الرِّوَاقِ . فَوَافَى خَدَمُ لَهُ ، فَأَدْخَلُوا أَهْلَانَا مُضَرَ فِي الْبَيْتِ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَانْفَصَلَ عَنَّا . وَكَانَتِ الْمَائِدَةُ تُقَدَّمُ إِلَيْنَا ، وَنُتَمَنَعُ أَنْ

أولاد ابن
طولون وابن
أخيه

(١) الحفص : السعة والدعة واللين في العيش

نُفِقِيَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا يَطْعَمُ وَلَا يَسْتَنْبِثُ . ثُمَّ
وَأَقَامَنَا ثَلَاثَةَ مِنْ أَصْحَابِ جَيْشٍ ، فَقَالُوا : « مَا مَاتَ أَخُوكُمْ بَعْدُ ؟ » ،
فَقُلْنَا : « مَا نَسْمَعُ لَهُ حِسَاباً » ، فَفَتَحُوا الْبَابَ فَوَجَدُوهُ حَيًّا ، وَرَأَى
الْقِيَامَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ الثَّلَاثَةُ بِثَلَاثَةِ أَصْهُمٍ فِي مَقَاتِلِهِ فَطَفِقَ^(١) .
وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا لَيْلَةُ جُمُعَةٍ ، وَأَخْرَجُوهُ وَأَغْلَقُوا
الْبَابَ عَلَيْنَا

« وَأَقَامَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ لَمْ يَقْدَمْ إِلَيْنَا طَعَامٌ ، فَظَنَّنَا أَنَّهُمْ
يَسْلُكُونَ بِنَا طَرِيقَهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْإِحَادِ ، سَمِعْنَا رَجَّةً فِي الدَّارِ
وَفُتِحَ بَابُ الْحَجَرَةِ ، وَأَدْخَلَ إِلَيْنَا جَيْشُ بَنِي تَخَارُويَةَ ، فَقُلْنَا : « مَا خَبْرُكَ
قَالَ : « غَلَبَ أَخِي عَلَى أَمْرِي ، وَتَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَلَدِ هَارُونَ بْنُ تَخَارُويَةَ ،
فَقُلْنَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ يَدَكَ ، وَأَضْرَعَ خَدَّكَ »^(٢) . فَقَالَ :
« مَا كَانَ عَزَى إِلَّا أَنْ أُلْحِقَكَ بِأَخِيكَ ، . وَأَنْفَذَ إِلَى جَمَاعَتِنَا
مَائِدَةً ، فَلَمَّا طَعِمْنَا بَعَثَ إِلَيْنَا خَادِمًا : « إِنَّ جَيْشًا كَانَ قَدْ عَزَمَ
عَلَى قَتْلِكَمَا كَمَا قَتَلَ أَخَاكَمَا ، فَاقْتُلَاهُ وَخُذَا بَنَاتِكَمَا مِنْهُ ، وَأَنْصِرِفَا عَلَى
أَمَانٍ » ، وَبَعَثَ إِلَيْنَا خَدِمًا ، فَتَسَرَّعُوا إِلَيْهِ فَقُتِلَ . وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى
مَنَازِلِنَا وَقَدْ كُفِّينَا عَدُوَّنَا ،

٦٢ — وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهَ ، قَالَ :
أَحَدُ مَلُوكِ
الْهِنْدِ وَتَاجِرِ

(١) طَفِقَ الرَّجُلُ : نَحَدَّ وَهَمَدَ وَانْفَلَأَ لَهَبَ حَيَاتِهِ

(٢) أَضْرَعَهُ : أَذَلَّهُ وَأَخْضَعَهُ

« خرج رجل نعره بتجارة ، قصّده إلى الهند : فرجع إلينا بأنواع من الطّيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية السّرور ، قتلنا له : « كم ربحت في التجارة التي خرجت بها من عندنا ؟ » ، فقال : « غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلمتُ بحُشاشة نفسي في جزيرة من جزائر الهند ، فتلقاني قوم فيها وجاموا بي إلى ملكهم فقال لي : « قد نَفِدَت الموهبةُ الخارجةُ عنك ، فما معك من الموهبةِ الثابتة عليك ؟ » ، قلت : « معي الكتابُ والحسابُ » ، فقال الملك : « ما بقي لك ، أفضل من الذي ذهب منك ، والصوابُ أن تعلم أبني الكتابَ بالعريّة والحسابَ ، فأرجو أن نُعوّضَكَ أكثر مما [فقدته] » ، وسلمَ إليّ من آبنه : أذكي صبيٍّ وألّطامه ، فتعلّم في مدة يسيرة ما يتعلّمه غيره في مدة طويلة

فلما رأى أنه قد توجّه واستحققتُ منه الإحسان ^(١) ، صار إليّ صاحبُ الملك فقال : « معي هدية من الملك إليك » ، وأدخل إليّ بقرةً فتيبةً ، ثم قال : « أَدْفِئْها لك إلى الراعي ؟ » ، فقلت : « افعل » ، وصغرَ في عيني أمرُ الملك على عظم شأنه . فما مضى زمنٌ قصير حتى جاء الراعي فقال : « ماتت البقرة ! » ، واستقبلني كلُّ خاصّة الملك بالتغنم ^(٢) . ثم ظهر في آبنه تزيّد ^(٣) ، فبعثتُ إليّ

(١) توجه : أى قصد الوجه الصحيح

(٢) تغنم : أظهر النعم والمم

(٣) تزيّد : يريد زيادة في العلم

ببقرة فتية أخرى فردّتها إلى الراعى ، فامضت مدة يسيرة حتى وَاثَى يَبْشُرُنِي فقال : « قد حملت البقرة ا » . فلما انتهى حملها وَصَعَتْ فُهَنَّاى حاشية الملك بأمرهم . ثم جلس الملك مجلساً عاماً ، وأحضر التجارة التى رأيتوها معى ، ثم قال :

« لم يذهب على ما يحبُّ لك فى تعليم ابنى ، ولم أبعث بالبقرة الأولى لفضل البقرة عندى . ولكن نزلت بك محنة فى البحر أتمت على مالك ، فامتحن بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلتُ أنى لو أعطيتك جميع ما ملكت يدي - وقد بقى منها شيء - لضاع منك وهلك لديك . فلما أخبرت أنها ماتت علنت أنك فيها ^(١) . ثم أمتحن أمرك بالبقرة الثانية ، فلما أخبرت أنها قد حملت علنت أنها قد انحسرت عنك . فسررت لك بذلك ، وأستظهرت بانتظار الولادة . فلما ولدت شخصاً كاملاً صحيح الأعضاء ، علنت أنك قد فارقت محنتك . وهذا ما أعددتك له ا » . ثم وصلنى بطيب قومه عشرين ألف دينار ، وحملنى فى البرّ فسلمت ، وزاد بأرض العرب ثمنه على ما قومه »

قال منصور . « فرأيت أنه قد أيسر بعد الحلة والتلفيق فى

المعاش ^(٢) ا »

(١) قوله « علنت أنك فيها » : أى أن شؤمك ومحنتك متلبسة بها

(٢) أيسر : غنى بعد شدة وعسر . والحلة : الفقر

الفضل بن
يحيى وشامي

٦٣ - وحدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، قال :

« اختنى عند والدى كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند إيقاع الرشيد بهم ، وكان يُواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوَعْظَ فيهم ، فقال له أبى : « أنا أرجو أن يُخْلِيفَ الله عليك ولا يُضِيعَكَ » ، فقال : « والله ما بُكَّائى لما فاتنى منهم ، وإنما بكَّائى لجلالة أخطارهم ونَفَاسَةِ أقدارهم ، ولقد كان لصاحبى فى الجمعة السالفة ما لم أسمع بمثله لتقديم ولا حديثٍ ، قال لى : « قد كُثِرَ الزَّوَارُ علينا ^(١) ، فأنظر مقدارَ من أنصرف ، وأرفع إلى عِدَّةٍ من بقى من الزوار لا تقدِّمَ فى برِّهم ؛ وأحذر أن ترفع إلى رجلاً من أهل الشام » - ، لأنه كان يتشيع ^(٢) »

« فخرجتُ فألقيت من قُفْضٍ عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلاً . وجاءنى رجلٌ من أهل الشام كاملُ الأدب ظريفُ الشاهد ^(٣) ، فأقبلته ما تُقدِّمُ به إلى ، فقال : « يا أخى أسألك أن تُغالط بى وتلبِّقنى فى وسط الجريدة » ، ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الأسماء ثم قال : « ألم أقدم إليك أن لا يكون فى الجريدة شامٍ ؟ » ، فقلت : « وأين الشامى ؟ » . فوضع - شهد الله - يده على اسمه وحلَّقَ ^(٤) ،

(١) الزَّوَار : هم العفاة والمجتدون وطالِبو المعروف ، وكانوا يسمون « السُّوَالِ » ، فسيماهم البرامكة . الزَّوَار ، إكراماً لهم عن شناعة اسم السؤال

(٢) يتشيع : يتعصب لشيعة على رضى الله عنه وأهل بيته

(٣) ظريف الشاهد : ظريف اللسان

(٤) حلَّق : أدار حلقة دائرة على الاسم

عروِّقَ بيده لكل واحد غير الشامي ، فما قصر بأحدٍ عن مائة دينار ، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . فجلستُ أفرِّقها ، وروَّأتُ إلى الشامي ، فأريته آتئمه عالياً وحدثته حديثه ، فقال : « لو تُضَيَّ شيء لكانَ ، وأحسن الله جزاءك على ماقدِّمته من العناية بي ، ، وأنصرف وقد غَمَى أمره ، ولم يبق في الزَّوَّار أحد حتى أُأْخَذَ » فأنَّا في منزلي قريباً من نصف الليل ، حتى وافاني رسوله ، فصرَّت إليه ، فقال : « أَوَيْتُ الساعة إلى فِرَاشي . واستعرضتُ بفكرى شُغْل الزَّوَّارِ وما أمرتُ به لهم ، فحَسَنَ عندي ، ثم قبَّحَه في عيني حِرْمَانُ الشاميِّ المسكين ، ورأيتُه نَقَصاً في مُرُورِي ، فتقدَّم في دفع مقادير ما رُسل إلى جماعة الزَّوَّارِ إليه ، ، فقلت : « ياسيدي ! وصل إلى جماعة الزَّوَّارِ خمسة عشر ألف دينار ، وهذا يكفيه ألف دينار ! » ، فقال : « والله ما تقي ألف دينار بَعْمَه وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قُمْ فَأَدْفِعْ إليه الخمسة عشر ألف ولا تَعْدُلْنِي ، فالخطأ في الجليل أحسنُ من الصَّراب في القبيح ، وليس يَشْكُرُ النَّاسُ من البرِّ إلَّا ما أفرط ، فأما ما بَلَغَ الحاجة فنسَى عند أكثرهم ، والواجب على من آثر جميل الذكر أن يَتَغَنَّمَ أيامه ^(١) ، ولا يسوِّفَ بشيء من فعله ،

قال أبو محمد : « فبكى والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفتُ عليه ، وقال : « ما أجهل الناس بقسدرٍ ما فقدوه من

هذا الرجل ! ،

قال الكاتب : « غرجتُ وَبَثْتُ الرُّسُلَ في طلب الشامي حتى وجدته ، فوافاني وقد انحط أكثر لحيمه في يوم واحد ، فقصصتُ عليه القصة ، فحمد الله وأثنى عليه وشكرنا جميعاً ، وقبض المالَ وأنصرف على أحسن حال »

والد المؤلف
وابن المدير

٦٤ - وسميتُ يوسف بن إبراهيم والدي ، وهو يقول :
« كانت بيني وبين أحمد بن محمد بن مَدِير سَوَالف تُرْعَى ويُحَافَظ عليها ، فلما تولى مصرَ رأى حُسْنَ ظاهري ، فظن ذلك عن أموال جمة لدي . فجدّ بي في المطالبة ، وأخرج عليّ بقايا العقود انكسرت من آفات عَرَضَتْ لِإضيائها ، ولم يسمع الاحتجاج فيها ، واستقصر ما أوردته ، و [ظنّه] إنما كان عن حيلة ، فاحتبّسني مع المتضمنين . فكان يُعَدُّو في كلِّ يوم غلامٌ له يحجّبه يُعرف بفضل ، فيكتبُ على كلِّ رجل ما يؤدّيه في يومه ، فإن شكّا أنه لا يصل إلى شيء ، أخرجه فحُمِلَتْ عليه الحجارة ، ومُلَوِلَب أعنفُ مُطالبة

« فلم يزل بي إلحاحه حتى بعثتُ حُصْرَ داري فضلاً عما فيها ، وعرضتُ داري فَمَنَعْنِي من بيعها ، ووجّهه إلى : « فأين يكون حُرُوك ؟ » . فوافاني كاتب في يوم من الأيام فقال لي : « يشهدُ الله أنا ما نَصِلُ لك اليوم إلى ما يُتَيْمَن . فضلاً عن شيء تؤدّيه ! » .

وأمسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرف ما يؤدبه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفذ إلى توقيعا نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله ! قد ألويت بما بقى عليك ^(١) ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن حُطّة المطالبة هذه المدة ، فإن أزحت العلة فيها ، وإلا سلّمناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيدّه الله ، وسيبت به عليك لأصحابه ^(٢) ، فكبت إليه رُقعة أحلفُ فيها : « إني ما أملك عدّد هذا المال حبّ حنظلٍ » ؛ ولو كان لى شيء لصنّته به نفسى إيان رأى السيد رعاية السراف بنى وبينه وسنّرتُ مخفّفى ، كان أهلا لما يأتى ، وإن سلّنى إلى هذا الرجل رجوت من الله عز وجل ما لا يخطئ من رجاء »

« فرجع إلى بعض غلمانه ومعه رُقعة محتومة ، فاستزكّنى . وسار بنى إلى مزاحم ، فلما قرئت عليه الرُقعة أدخلنى إليه ، وعنده كاتب له يعرف بالمروزى فعزّقى مزاحم ولم أعرفه . : وكان أبوه فى الحارة التى فيها دارُ أبى بَسْرَ من رأى ، وربّته أم امرأة لى تعرف بميمونة ، مولاة أم محمد بنت الرشيد ؛ ولا علم لى بشيء من

(١) ألوى ولوى الدين : مطلق وتأخر بالعلل عن قضاءه

(٢) سبب عليه : أى جعله سبياً يأخذ عليه مالا من المرسل إليه كان يستحقه لديه ، ويتولى المرسل إليه استخراج المال من الرجل المسبب عليه

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » قلت : « نعم ! أيد الله الأمير » ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، والله ما طلبت ابن المدبر أن يروج علي مالا ^(١) ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزحك وقصور يدك عن هذا المال ^(٢) ، فإن تهمل ، وإلا نجته على وعلى رجالى حتى يقاضوا به في كل نهم ^(٣) » ، ثم قال للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأم زوجته يغذاذ تولت زيني ، وقد استكتبته على أموري وما احتاج إلى قبالة من الضياع بمصر ^(٤) ، وليس يزيك عن رسمك ^(٥) » ، وأخذ خاتماً قد كان مُنختم به بالكتب بحضرة فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي رتبته ، فقلت : « هي بمصر معي » ، وانصرفت من عنده إلى منزلي . فكان أول من هنأني بمحلي منه ابن المدبر ، ورجعت إلى نعتي منه في مدة يسيرة »

٦٥ - وحدثنى أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي
المهندس وابن
موسى

- (١) روج عليه المال : عجله له
- (٢) الرزح : العجز والضعف والإعياء من الثقل
- (٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أذاه نجوماً (أساطل) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة
- (٤) قبالة الضياع : كفالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها

ليت المال

(٥) الرسم : هو عديم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأجمي المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعته إلى من أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : فحدثني سنده بن علي فقال :

« سأل المأمون محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأجمي في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضري إبراهيم ابن الأجمي » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبد منه كلمة ، قال : فرأيت انقطاعه قد سرّ ابني موسى ^(١) ، وقالوا للمأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحل من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكنا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأت قراءة الهندسة » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتضت والله مما لحقه من تعسف هذين الرجلين ^(٢) ، فزلت هذا القول لارؤد به الإصغار عنه ^(٣) » ، فصلحت حاله ، ورجع إلى أفضل ماكان عليه ،

(١) اقطع الرجل : صحت أو أعي فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقوله كذبا ، والإصغار : التحقير

محمد واحد
ابن موسى
برسند بن علي قال : ٦٦ - وحدثنى [أبو كامل] شعاع بن أسلم الحاسب أيضا ،

« كان محمدٌ وأحدُ آبنا شاكر - في أيام المتوكل - يَكِيدَانِ كُلَّ مَنْ ذُكِرَ [بالتقدم] في معرفة . فَأَشْخَصَا سَنَدَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ وَبَاعَدَاهُ عَنِ الْمُتَوَكِّلِ . وَدَبَّرَا عَلَى السَّكَنْدِيِّ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمُتَوَكِّلُ ، وَرَجَّعَهَا إِلَى دَارِهِ فَأَخَذَا كُتْبَهُ بِأَسْرِهِا ، فَأَفْرَدَاهَا فِي خِرَانِهِ نُصِيَّتِ السَّكَنْدِيَّةُ ، وَمَكَّنَ هَذَا لِهَما اسْتِهْتَارُ الْمُتَوَكِّلِ بِالْأَلَاتِ الْمُتَحَرِّكِهٖ ^(١) »

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا فِي حَفْرِ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْجَعْفَرِيِّ ، فَأَسْنَدَا أَمْرَهُ إِلَى أَحَدِ بْنِ كَثِيرِ الْقَرَغَانِيِّ - الَّذِي عَمِلَ الْمِقْيَاسَ الْجَدِيدَ بِمِصْرَ ، وَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ أَوْفَى مِنْ تَوْفِيقِهِ ، لِأَنَّهُ مَا تَمَّ لَهُ عَمَلُ قَطْ - فَنَاطَءَ فِي قُوَّةِ النَّهْرِ وَجَعَلَهَا أَخْفَضَ مِنْ سَائِرِهِ ، فَصَارَ مَا يَغْمُرُ الْفَوَّهَةَ لَا يَغْمُرُ سَائِرَهُ ، فَدَافَعَ مُحَمَّدٌ وَأَحَدُ آبِنَا شَاكِرَ فِي أَمْرِهِ . وَأَقْتَضَاهُمَا الْمُتَوَكِّلُ ، فَسَبَّحَ بِهِمَا إِلَيْهِ فِيهِ . فَأَنْفَذَ مُسْتَحِثًّا فِي إِسْـ هَذَا سَنَدَ بْنَ عَلِيٍّ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، فَوَاقَى

فَلَمَّا نَحَقَ مُحَمَّدٌ وَأَحَدُ آبِنَا شَاكِرَ أَنَّ سَنَدًا قَدْ شَخَّصَ ، أَيْقَنَا بِالْهَلَكَةِ وَيَتَسَّأَلُ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ ^(٢) »

(١) الآلات المتحركة : هي آلات رصد النجوم المعروفة بالاصطrolab

(٢) روح الحياة : نَفْسُهَا وَطَبِيعُهَا

فدعا المتوكل سَنَدًا وقال [له] : ماترك هُذَانِ الرَّدِثَانِ شَيْئًا مِنْ
سُوءِ الْقَوْلِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرَكَ عِنْدِي بِهِ ، وَقَدْ أَمْلَقْنَا جُمْلَةً مِنْ مَالِي فِي
هَذَا النَّهْرِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى تَتَأَسَّلَهُ وَتُخَيِّرَنِي بِالْعَلَطِ فِيهِ ، فَإِنِّي قَدْ
آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي - إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وُصِفَ - أَنْ أَصْلُبَهُمَا عَلَى
شَاطِئِهِ « . وَكُلُّ هَذَا بَعِينٌ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَتَتَمِّهُمَا ، فَخَرَجَ وَهَمَا مَعَهُ
« فَقَالَ مُحَمَّدٌ [بْنُ مُوسَى لِسَنَدٍ] : يَا أَبَا أَحْمَدَ « إِنْ قُدِّرَ الْخَرْتُ ذَهَبَ
حَفِيفَتَهُ « ^(١) وَقَدْ فَرَعْنَا إِلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا الَّتِي هِيَ أَنْفُسُ أَعْلَانَا ^(٢) ،
وَمَا نُنْكَرُ أَنَّا قَدْ أَسَانَا ، وَالْإِعْتِرَافُ يَهْدِمُ الْإِقْرَافَ ، فَتَخَلَّصْنَا
كَيْفَ شِئْتَ «

« قَالَ لَهَا : « أَتَمَّا تَعْلَمَانِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِنْدِيِّ مِنَ الْعِدَاوَةِ
وَالْمُبَاغَاةِ ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَوْلَى مَا أَتَّبِعُ . أَكُنْ مِنَ الْجَمِيلِ مَا أَتَيْنَا
إِلَيْهِ فِي أَخْذِ كُتُبِهِ ؟ وَاللَّهِ لَا أَذْكَرُكُمْ كَمَا [بِصَالِحِهِ] حَتَّى تَرُدَّاهَا
عَلَيْهِ « . فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرٍ فِي سَحْلِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ خَطْلَهُ
بِاسْتِيفَاتِهَا . فَوُرِدَتْ رُقْعَةُ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ تَسَلَّمَهَا عَنْ آخِرِهَا ، فَقَالَ
لَهَا : « قَدْ وَجَبَ لَكُمْ عَلَى ذِمَّتِي بَرْدُ كُتُبِ هَذَا الرَّجُلِ ^(٣) ، وَلَكِنْ
عَلَى ذِمَّتِي بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تَرَعَيْتَاهَا فِي ، وَالْخَطَأُ فِي هَذَا النَّهْرِ يَسْتَبْرُ
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بِزِيَادَةِ دِجْلَةٍ ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْحِسَابُ عَلَى أَنَّ

(١) الحَفِيفَةُ : النَعْمَةُ الْمَكْتُومَةُ فِي النَّفْسِ

(٢) الْأَعْلَانُ : الذِّخَائِرُ الْبَاطِنَاتُ

(٣) الْأَوَامُ : الْذِمَّةُ وَالْعَهْدُ وَالْحَقُّ

أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر لإبقاء على أرواحكم ، فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة ، وإن كذبوا - وجازت مدته حتى تنفص دجلة وينضب النهر - أوقع بنا ثلاثتنا »

« فشكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقهما ^(١) به ، ودخل إلى المتوكل فقال [له] : « ما غلطا » ، وزادت دجلة ، وأجرى الماء فيه ، واستتر حال النهر . وقتل المتوكل بعد شهر [بن] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف عما توقعوا ،

حصار أفریطش ٦٧ - وحدثني الحسن بن مسلم الأفریطشي - وأريته بعد أن علّسني وبلغ المائة سنة ، وكان صحيح الفيز ، سليم الحواس - قال :

« ألح غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروء عظيم . فوجدتم ملك الروم من هذا ^(٢) ، ونذر أن يُغرب أفریطش ولو أنفق ذخائر ملكته . فنظر إلى راهب محبوب تدهالم الروم زهادته . فأنزله من متعبده ، وضم إليه أكثر جُيوشه ، فوآى جمع لم يُحيط بأفریطش مثله قط . ففرعنا إلى غنّاق الحصن ^(٣) ، وتسرع الروم إلى بناء

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً أو كالرقيق

(٢) وجد من الشيء : غضب في نفسه

(٣) غلق الحصن : أقفاه

مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وطلبونا على ميرة البلد وما يكون في جواره ^(١) . واشتد الحصار ، ونزع السمر ، وتحقق الماء كولا ^(٢) ، وشاع الجهد ^(٣)

ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مامات من البهائم جوعاً ، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له ، فقال لهم شيخ : « إني قد أراكم قد حُرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم والصواب أن تقبلوا مني ما أشر به عليكم » ، قالوا : « قل » ، قال : « أتركوا لله قبيح ما يحملكم عليه تظاهروا النعمة والسلامة ^(٤) ، وأخلصوا له إخلاص من لا يجد قرجه إلا عنده ، وأفصلوا صبيانكم من رجالكم ، ورجالكم من نسائكم » . فلما ميزهم هذا التمييز صاح بهم : « عجوا بالله ^(٥) » ، فعجوا عجة واحدة ، وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس . ثم قال : « عجوا أخرى ، ولا تشتغلوا بغير الله » ، فعجوا عجة أعظم من الأولى ، وبكى الناس أيضاً . ثم عجم الثالثة وعجم الناس معه ، وقال : « تشرفوا من الحسن ^(٦) » ، فإني أرجو أن يكون الله قد فرج عنا »

(١) الميرة : الطعام والزاد

(٢) نزع السمر : غلا ، وتحلق الماء كولا : هلك أو كاد كما يكون في أيام القحط

(٣) الجهد : المشقة والعسر من الجوع

(٤) تظاهرت النعمة : تضاعفت وتكاثرت

(٥) عجم بالبكاء والدعاء : رفع صوته

(٦) تشرف : أطل وتطلع

خلف لي الحسن : « إني تشرفتُ مع جماعةٍ فرأيتُ الروم قد قوضوا [إرحالم] ، وركبوا مراكمهم . وفتح بابُ الحصن ، فوجدوا قوما من بقاياهم فسألوم عن حالهم : فقالوا : « كان حميدُ الجيش بأفضل سلامةٍ إلى اليوم ، حتى سمع ضججتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح : « قلبي اقلبي ! ، ثم طفق » ^(١) . فانصرف من كان معه إلى بلد الروم . وخرجنا عن الحصن ، فوجدنا في تلك الالبية من القمع والشعير ما وسع المدينة وأعاد إليها خصبها ، [وَكَيْفِينَا] جماعتهم من غير قتال »

سهل بن شنيف
وابن بسطام

٦٨ - قال أبو جعفر :

« ولما غلب ابنُ الخليل على مصر ونواحيها ، لم يكن بمصر أسوأ قدرةً على أسباب أبي [على] الحسين بن أحمد الماذرائي من أحمد بن سهل بن شنيف ، فلم يمضِ شهر حتى انهزم ابن الخليل وطفرت به . وحمل إلى العراق . ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد ابن بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد ، وكاشفاً لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليل وأصحابه . فقرر أبو علي أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، نعرض بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال أبو العباس : « سيعلم ما يجري عليه مني ! » . واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف

فاستطير قلبه وكسف باله^(١). وأحضر مع جماعة أجلبوا من
الكتاب مع ابن الخليج^(٢)، فلما دخلوا عليه كاد يقوم إلى سهل بن
شنيف، ثم رفعه حتى كان أقرب إليه من أخص أصحابه. ودعا ابن
حُبَيْش فسارّه، فنظر إلى سهل، وقال لأبي العباس: «الامرُ على
ما وصفت»، ثم أطلق سهلاً من ساعته إلى منزله. فسأله أبو علي:
«هل تعرفه قبل هذا؟»، فقال: «لا والله! ولكنّه ورد علىّ منه
أشبه الناس بأبي».

وأفرخ رَوْح سهل بتوفيق الله ولطفه^(٣)، وما زال حفيّا به
حتى مات.

٦٩ - قال:

المؤلف

«وكنّت قد عملت في أيام ابن الخليج لحماية ضياع كانت في بدي . وابن بسطام
فلما تمخضت دولته اختفيت ونهبت^(٤)، وخفت الإيقاع بي،
واعتور ضياعي العيال^(٥). وأضاعت حالي، فاجتمع الخوف والفاقة.
فرايت - بعد قدوم أبي العباس بن بسطام - فيما يرى النائم،
يوسف بن إبراهيم والدي، وأنا أشكو إليه خلتي وخوفي، فكانه

(١) استطير قلبه: ارتاع واضطرب، وكسف باله: تغير وساء حاله

(٢) أجلب عليه: أعان الخارجين عليه

(٣) أفرخ روجه: اطمأن قلبه بعد فزع

(٤) تمخضت: كادت أن تولد، وقربت ولايته الامر

(٥) اعتوروا الضياع: تداولوها بالإيدام والتضييق في جباية الأموال

يقول : « أنا أتكلم في أمرك حتى تعود إلى محبتك » . فلما أصبحت قصصت الرويا على من كنت محتفياً عنده ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، فقال : « يجرى لك فرج بذكر أهلك »

وطلب أبو العباس بن بسطام الدثورات القديمة ليعتبر منها عبر الضياع ^(٢) . فأخرج إليه ما كان لسنة خمسين ومائتين ومائها ، فرأى فيها اسم والدى في ضياع كثيرة ، فقال : « من هذا يوسف ابن إبراهيم ؟ » فقال له أبو علي : « هذا صاحب إبراهيم بن المهدي ، ورَضِيعُ المعتصم » ، قال أبو العباس : « وصاحبُ كتاب الطَّبِيعِ ؟ » ، قال أبو علي : « نعم » ، قال : « فله ولد ؟ » ، قال : « نعم في ناحيتي » ، قال : « فخذني منه كتاب الطَّبِيعِ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي ، وصربه إلى حتى يقرأهما علي » ، قال : « أفعل » ،

وكان إسماعيل بن نُصَيْر يعرف موصلي ، فقال له : « أحتاج إلى أحمد بن يوسف » ، قال : « تؤمُّنه ، وعلى إحضاره » ، فكتب له أماناً بخطه ، وحلف فيه ألا يُسَوِّدَني ولا يُطالبني . فخرجت إليه وأحضرتهُ الكتابين . وفرَّج الله عني بأضعف سبب »

(١) العبارة : تعبير الرويا وتفسيرها

(٢) اعتبر عبر الشيء : استدل على الشيء بالشيء وتدبر حسابه حتى يفهمه .
والدثورات : جمع دستور ، وهي النسخ المحزرة المكتوبة : يريد دقاتر الحساب

٧. - وحدتني أم آسية - قابلة أولاد مُخارويه بن طولون ، قابلة أولاد
 وكان لها دينٌ ومذهب جميلٌ ، ومحلٌ لطيفٌ من مُخارويه . وقد
 نذاكرنا لطفَ الله عز وجلَّ في أرزاق عباده ، وحُسن الدِّفاع
 عنهم - : أنه تزوجها وأختها أَخَوَانِ ، فأقبلتُ حالُ زوج أختها
 وأدبرتُ حال زوجها ، قالت : وتوفى زوجها بأسوأ حالة ،
 وخلف لها بناتٌ ، وتعذرَ عليها تجهيزُهُ من اختِلاله . وتوفى زوج
 أختها ، وقد خلف من العَمِينَ والمَسَاكِين والآوانى لوَلَدَ أختها :
 قالت : « فكنْتُ أجاهدُ في قُوَّةٍ وَلَدَى ، وإذا وَقَفَ أمرى ،
 صِرْتُ إلى أختي فقلت : « أفرِضيني كذا وكذا » ، استجِيبَتْ من
 أن أقول لها : « هَبِّي لى ... » . ودخل شهر رمضان ، فلما مضى
 نصفه ، اشتَهَوْا عَلَى صِيَانِي حَلْوًا فى العيد ، فصرت إلى أختي
 فقلت لها : « أفرِضيني ديناراً أعمل به للصِيَان حَلْوًا فى العيد » ،
 فقالت : « يا أختي ! تَبْغِظِينِي بقَوْلِكَ : « أفرِضيني » ، وإذا قرَضْتُكَ
 من أين تُعْطِينِي ؟ أَمِنْ غَلَّةِ دُورِكَ أَوْ بُسْتَانِكَ ؟ ^(١) لو قلت :
 « هَبِّي لى » ، كان أحسن . فقلت لها : « أَقْضِيكَ من لُطْفِ الله
 تعالى الذى لا يُخْتَسَبُ ، وجُودِهِ الذى يأتى من حيث لا يُرْتَقَبُ ! » .
 فتضاحكت وقالت : « يا أختي ! هذا والله من المُتْنَى ، والمُتْنَى
 بَضَائِعُ النَّوْكَى ! » ^(٢) . فأنصرفتُ عنها أجْزُ رَجُلِي إلى منزلى

(١) الغلة : الدخل الذى يغله العقار

(٢) النوكى : جمع أنوك : وهو اللاحق الذى لا عقل له

« وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة مُخارويه ،
 فلما بلغت حارتنا قال لي : « في جوارنا امرأة تُطلق قد أوجعت
 قلبي »^(١) . أدخل إليها فليس لها قابله »^(٢) . قالت أم آسية :
 « والله ما عانيتُ ممنوخةً قط »^(٣) ، فدخلت إليها ، فسحبتُ جوفها ،
 وأجلستها كما كان القوابلُ يُجلسني في طَلقي ، فولدت من ساعتها .
 فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها ، فقلت : « قد ولدت ا » ،
 فمجب من سُرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد اعتمدته بحذقي
 صناعةً ، وكُلف في مهنة . ففضي إلى سِته بنت اليتيم - وكانت
 مُقرباً بأول ولدي لِحمل لابن الجيش »^(٤) ، وقد عُرض عليها قوابلُ
 استقلتهن - ، فقال : « في جوارنا قابلهُ أحضرناها المرأة في حارتنا
 تُطلق ، فوضعت يدها على جوفها فتمط ولدها ا » ، ووصفتني
 بما لا يوجد في قُدره أحد إلا بالله عز وجل ! فقالت للخادم :
 « إذا كان غداً لجئني بها » ، فأتى الفُلام ودعاني إلى مولاته ،
 فأجبتُ بانسراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفت رُوحى
 وقالت : « إلى التعمام تقدير الله تبارك وتعالى » . ثم شكت مغساً

(١) طلق المرأة (بالبناء للجهول) : إذا أدركها المخاض ووجع
 الولادة

(٢) القابلة : هي التي تتلق الولد من بطن أمه ، (المولدة)

(٣) الممنوخة : هي الماخض ، وهي المرأة إذا ضربها الطلق ووجع
 الولادة

(٤) أقرب الحامل وهي مقرب : إذا دنا ولادها

تجده المُقَرَّب^(١) ، فأدخلتُ يدي في ثيابها ومسحتُ جوفها ،
وعججتُ إلى الله تعالى في سرِّي بتوفيق ، وكنتُ أدعو - ومن
حضر من أهلها يتوهم أني أرقى - فسكن ما وجدته وتبركتُ بي .
ودخل إليها نهارويه وقال : « ما وجدتي » فقالت : « مَأساً في
جوفي ، فوضعتُ قابلهُ أردتها يدها عليه ، فزال ما أجدها » ،
وأخرجني إليه - وكان نريباً من حريمه - ، فقال لي : « أرجو
أن يُخَلِّصها الله عز وجل ببركتك »

قالت أم آسية : « ودخلنا في العشر الأخير من شهر رمضان ،
وقد تمسكتُ من الإخلاص لله عز وجل بما لا يصلُ إليه من
ساح في الجبال ، خوفاً من شامة أُنخِيتُ بي . فلم تمض إلا ثلاثة
أيام حتى تحضت ، فأجستُها على كُرسي الولادة - وكان مقدارُ
طليقها ساعتين - ، فولدت ابناً أسهل ولادياً ، و أبو الجيش يقوم
ويقعد ، ويذهب ويحجي . فلما ولدت - وكانت تتوقع من الولادة
امراً عظيماً - فلما ألقته قالت لي : « هذا الطلق » ، قلت : « نعم » ،
فقبلت - يعلمُ الله - عيني من الفرح - وصاح نهارويه : « أخبريني
يا مباركةُ بخبرها » . فقلت : « وحياة الأمير إنها في عافية ، وقد
ولدت غلاماً سوى الخلق بحمد الله » . فوجه إلى بألف دينار ،
والح أبو الجيش في النظر إليها لمرط إشفاقه عليها . فستوقفته
إلى أن نقلتُ حوائج الولادة وقلت لها : « ياسيدي ! أضحكي في

(١) النفس والمغص : تقطيع يأخذ في أسفل البطن وانحني

وَجْهَهُ كَمَا تَرِيهِ ^(١) . فلما دخل إليها ضحككت في وجهه ، فتقدم
بصدقة بمال كثير عنها وعن ولده ،

وقالت لى أم آسية : « لما كان يوم الأسبوع - ووقع قبل العيد
يوم واحد - ، أمرت لى بخمسة مائة دينار ، وحصل من أتباعها ألف
دينار ، فحصل لى ألفان وخمسة مائة دينار . وخلصت على وسائر حشمها
أكثر من ثلاثين خلفة ، وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد
خاصة . وانصرفت إلى منزل ، فأرسلت لى أختي مائدة ، ووافني
مهنئة ، وقد تقاصر طولها ، فأريتها ما حصل لى من المال والحلج
والطبيب ، وقلت لها : « يا أختي ! أنكرت على قولي : « أقرضيني ،
ومن هذا كنت أفضيك . فلا تستصغري من كان الله مادته .
وعليه مدار فقته وتعويضه »

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من أبى الجيش مالا كثيراً .
وقضت جماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة

٧١ - وحدثنى شجاع بن أسلم الحاسب ، قال : قلت لسند
ابن عليّ : « من كان سبيك إلى المأمون ، حتى اتصلت به ، وكنتم
[فى جلسائه] من العلماء ؟ » . فقال : « أحذئك به :

« كان والدى يتكسب بصناعة أحكام النجوم مع قوم من
أسباب السلطان يودونه ويحبونه . وتعلق قلبى بعد فراغى من

(١) كما تَرِيهِ : تريد ، حين تَرِيَهُ ، وقد مضى مثل ذلك فى ص (١٠)

سند بن علي
والجسلى

قراءة كتاب أقليدس بكتاب الميسطي^(١). وكان - في أيام المأمون بسوق الوراقين - رجلٌ يُعرف بمروفي ، يُورق هذا الكتاب ويبيعه^(٢) - بعد تكامل خطّه وأشكاله وتجايدّه - بعشرين ديناراً فسألت والدي أبقياعه لي ، فقال : « أنظرني يا بُنيّ إلى أن يهيا لي شيء آخذُه^(٣) ، إما من رزق وإما من فضل ، وأبتاعه لك

وكان لي أخٌ لا يشتهي ما [تقدمت] أنا فيه من العلم شيئاً ؛ إلا أنه كان يخدم أبي في حوائجه والإشفاق عليه . فلما سَوَّقني أبي بالكتاب وطالت المدة فيه ، ركبْتُ معه لأمسك دابَّته في دخوله إلى من يدخل إليه ، ولي إذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج إلى غلمان من كان عنده فقالوا : « انصرف ، فقد أقام أبوك عند مولانا » . فمضيت بالدابَّة فبعْتُها بسرَّجها ولجامها بأقلَّ من ثلاثين ديناراً ، ومضيت إلى معروف فاشتريتُ الكتابَ بعشرين ديناراً

وكان لي بيتٌ أخلوفيه ، وجئتُ إلى أمي فقلتُ لها : « قد جنيتُ عليكمُ جنايةً » ، واقتصصْتُ عليها القصةَ^(٤) ، وحلفتُ لها : إن شِئذت أبي دليّ حتَّى يمتنعني من النظر في الكتاب^(٥) لاخرُجنَّ

(١) هذان الكتابان من أشهر كتب يونان المترجمة إلى العربية ، الأول في أصول الهندسة ، والآخر في الهيئة

(٢) ورَّق الكتاب : نسخه وأعدّه كاملاً للبيع

(٣) أنظره : أخره راجله

(٤) اقتص الشيء : حكاه متابعاً

(٥) شحذه عليه : حرّضه عليه وأغضبه

عنهم إلى أبعد غاية ، ورَدَدَتْ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها :
 « أنا أُغلقُ بَابَ هذا المنزلِ الذي لى ، وأرضى منكم برغيفٍ يُلْقَى
 إلىَّ كما يُلْقَى إلى المحبوس ، إلى أن أفرأه جميعه » . فَتَضَمَّنْتُ لى
 بتسكين قَوْزِيه ، ودخلتُ البيتُ وأغلقتُهُ من عندى . ففضى أخى
 إلى والدى فى الموضع الذى كان فيه ، بنأسرٍ إليه الخبر ، فتغير وجهه ،
 وتاجَّجَ فى حديثه ، فقال له مَنْ كان عنده : « قد شَغَلَتْ قَلْبى وقلبَ
 مَنْ حَضَرَ بِمَا ظَهَرَ مِنْكَ ، فبحقِّ عليك إلا أخبرتنا لِمَ ذاك ؟ » قال
 فخره ، فقال : هذا والله يُسرُّنا فى ولدك ؛ فاقمُدْ فيه بكل جميل ^(١) ،
 ثم استحضرنى لِإِسْطَبْلِهِ بَغْلًا أفره من بغلِ أبى ^(٢) ، وسرَّجًا خيرًا من
 سرَّجه ، وقال لائى : « اركبْ هذا البغلَ ، ولا تكلمْ ابْنَكَ بِحَرْفٍ »
 قال سَنَدٌ : « وأقَّتْ ثَلَاثَ سنينَ كيومٍ واحدٍ ، لا يرى لى أبى
 صورةً وجهٍ ، وأنا مُجِدِّدٌ حتى استكملتُ كتابَ المَجْسطى . ثم
 خرجتُ وقد نَحِمْتُ أَشْكَالًا مُسْتَضْمِنَاتٍ ووضعتها فى كُمِّى .
 وسألت : « هل للمهندسين والحسابِ موضعٌ يجتمعون فيه » ؛
 فقيل لى : « لهم مجلس فى دارِ العباس بن سعيد الجوهري تَرْبِ
 المأمون ، يجتمع فيه وجوهُ العلماء بالهَيْئَةِ والهندسة » . فحضرته ،
 فرأيتُ جميع من حضرَ مَشَابِخَ ، ولم يكن فيهم حَدَّثٌ غَيْرى ،
 لائى كنت فى العشرين سنة ^(٣)

(١) آتَمَدٌ : يريدُ انتظر فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره : من المراهة : وهى نشط الدابة رقوتها ؛ نهى فاره

(٣) اخذت : تصدير السَّ

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ أنظرت ؟ » قلت : « علام يحبُّ صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » قلت : « أفليدس والمجسطي » ، قال : « قراءة لحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطي ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبته . فمجب و قال « بمن أفادك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجته قريحتي » ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرَّ بي في ورقي معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتأظ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلبانه : « السَّفَط » ^(١) ، فجاء به ، فنظر إلى خاتمه فوجده بحاله ، ثم قصَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً لجعل يقابلُ بها الورق الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رُصفاً من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ تولَّيتُ تدبيره من كتاب المجسطي ، فلبَّسَ أحضرته توهَّمْتُ أنه سُرق مني . حتى تبينَّت اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى » . ثم أمر أن تُقطع لي أقيية ^(٢) ، وتُرَنا دلي مِن طَفَّة مَذْهَبِهِ ^(٣) ، فُقرغ من جميع ذلك في تلك الليلة ، ودَخَلَ بي إلى المأمون ، وأمرني بملازمته ؛ وأجرى لي أنزالاً ورزقاً ^(٤)

* * *

(١) السَّفَط : وعاء تعبى فيه الأشياء

(٢) أقيية : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المطفة : ما يدور بالبطن كالخزام

(٤) أنزال : جمع زل ، وهو الرزق

الرشيد وطيبه ٧٣ - وحدثنى أحمد بن أبي يعقوب، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة^(١) ، وبه فاقة شديدة ، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر . فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها صلة ، فأجمع الأطباء على أنه تالف^(٢) ، وأخبر ابن بختيشوع ، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن ينجحوه^(٣) » ؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخاطربه » ؛ ثم قال : « قد أيسنا منه ، والصواب أن نمتحن هذا فيه » . فأحضرنا الحجام^(٤) لجمع الدم في أخذعيه وهو مستلقي^(٥) ؛ ثم أخرج مدهه ينجحمتين ، ففتح الرشيد عينيه ، واستدعى طعامه ، وأكل ونام

فلما آتبه أقتص عليه المأمون ما جرى عليه [أمره ، وأذن]
للداخلين في تهنته بالسلامة . فلما آكملوا قال لهم : « يا معاشر
الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطتكم لحراسة نفسي^(٦) ، وقد حدث
عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام !
ونصيي^(٧) متى نزر ، ونصبيكم واقراً ، فأعديوا ميل المملكة بأن يجعل
له كل رجل منكم نصيباً من إنعائى عليه وإحسانى إليه ، حتى
يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن
الدفاع عني »

(١) حجه : أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخذعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه : اتخذته واستبقاه

ففسر الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدُّور والأموال .
وما بَرَحَ حتى كان أيسر مَنْ في المملكة ، وتربَّتْ النعمةُ لديه .
وولده حتى وازت نعم الخلفاء

٧٣ - وحدثنى عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن
عمرو بن عثمان
والرشيد
جده ، قال :

« كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى عليّ ، وحالي حالٌ
لا تهضر بما يحتاج إليه المُقْتَصِدُ ، وقد لزمته بين لا كفارة لها
في ترك النّيد . فكان جماعة الكتاب يجلسون ما جلس الوزير -
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا أنصرف إلى منزله ، أنصرفوا
إلى ماعة روا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيمُ وحدي في الديوان
إلى أن يُغلقَ

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت بخُطْرَةٍ تطرّب الوزير
فيها إلى الشرب ^(١) ، لتشاغل الرشيد في دعوة لزيدة ، فلم يبقَ في
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادمٍ من خاصّة
الرشيد ، فأخذيدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما ثلث بين يديه ، قال اقرأ
هذا الكتاب ا » ، فقرأته ، فبينته وأعرّيته فقال : « أجب عنه بين يدي » ،
فأجبت : « بأحسن معانٍ وأجود لفظ . فقال : « اقرأ علي » ، فقرأته ،
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرّب إلى كذا : طرب

إليه ، وَقُلْ لِلْفَضْلِ يَصْرِفُ إِلَيْهِ دِيْوَانُ الْإِنْسَاءِ ^(١) . فهو أَحَقُّ بِهِ
مَنْ غَادَرَهُ . ثم قال لى : « خذْ هَذَا الْمَالَ ، وَسَأُنْظِرُكَ فِي الْوَقْتِ
بَعْدَ الْوَقْتِ مَا يَزِيدُ فِي أَصْلَانَا لَكَ ، فَلَا يُفْسِدُ الْغَنَى مَا أَصْلَحَتْهُ
الْغِنَاءَةُ مِنْ حُسْنِ مَلَازِمَتِكَ ، وَاسْتَرْزَنْ أَرْذَكَ »

قال عمرو : « فَاجْتَمَعَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ أَنْ يُشْرِكَ بِنِي وَبَيْنَ
مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى الْإِنْسَاءَ ، فَلَمْ يُطْلِقْ لَهُ الرَّشِيدَ ذَلِكَ وَأَفْرَدَنِي بِهِ ^(٢) ،
حَتَّى فَرَّقَتْ الْآيَامُ بَيْنَنَا »

خاتمة

سميت بفلسفة
والحكيم

قال أبو جعفر قال بزجرهم : « الشَّدَائِدُ قَبْلَ الْمُرَاهِبِ ، تُشْبِهُ
الْجُوعَ قَبْلَ الْطَعَامِ : يَحْسُنُ بِهِ مَوْقِعُهُ ، وَيَلْدُّ مَعَهُ تَبَاوُلُهُ »
وقال أنطاطن : « الشَّدَائِدُ تُصْلِحُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارِ مَا تُفْسِدُ
مِنَ الْعَيْشِ ، وَالتَّتَرُّفُ يُفْسِدُ مِنَ النَّفْسِ بِمَقْدَارِ مَا يُصْلِحُ مِنَ
الْعَيْشِ ^(٣) »

وقال : « حَافِظٌ عَلَى كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ الشَّدَائِدُ ، وَآلَهُ
عَنِ كُلِّ صَدِيقٍ أَهْدَتْهُ إِلَيْكَ النِّعْمَةُ »
وقال أيضاً : « التَّرَفُّهُ كَاللَّيْلِ : لَا تَتَأَمَّلُ فِيهِ مَا تُصْدِرُهُ أَوْ تَتَنَاوَلُهُ »

(١) صرف إلى كذا : رلاه إياه

(٢) أطعن له : أذعن له

(٣) التترف : الترف والترفه في العيش

والشدة كالنهار : ترى فيها سعيك وسعى غيرك ،

وقال أردشير : « الشدة كحل ترى به مالا تراه بالنعمة »

خاتمة المؤلف
لهذا الباب

ورملاك مصاحبة الامر في الشدة شيان : أصغرهما قوة قلب
صاحبها على ما يتوبه ، وأعظمهما حسن تقوى يرضه إلى مالكة ورازقة
وإذا صمد الرجل بفكره نحو خالفه ^(١) ، علم أنه لم يمتحنه
إلا بما وجب له تنوبة ، أو يمتحن عنه كبيرة ^(٢) ، وهو مع هذا
من الله في أرباب متصلة ، وفوائد متابعة

فأما إذا اشتد فكره فلتفاء الحقيقة ، كثرت ردائله ، وزاد تصنعه ،
وبرم بمقاهه فيما تقصر عن تأويله ، واستطال من الخن ماعسى أن
ينفضى في يرمه . رماف ن أسكروه بالله . أن يُخطئه

وإنما تصدق المناجاة بين الرجل وبين ربه لعله بم في السرائر ،
وتأييده البصائر . وهي بين الرجل وبين أشباهه كثيرة الأذية ، خارجة
عن المصلحة

ولله تعالى روح يأتي عند الرأس منه يصيب به من يشاء من
خلق ^(٣) ، وإليه الرذبة في ترتيب الفرج وتسجيل الامر ، والرجوع

(١) صمد إلى كذا : قصد وتوجه ومضى إليه

(٢) محص عنه الذنب : قصه وأسقطه عنه

(٣) الروح : رحمة الله ، فإن الراحة كلها معها

إلى أفضل ما تطاول إليه الشُّؤْل ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل

تم الكتاب

والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد النبي وعلى آله
وعترته الطاهرين وسلامه

علي بن الحسين القاضى (ابو عبيد) : ٧٦
علي بن سند : ١١٦
ابنا عمر الاخبارى : ١٠٩
عمر بن فرج الزنجى : ٣٦
عمر بن يزيد اللبرق : ٧٧
عمر بن العاص : ١٠٣
عمر بن عثمان الكاتب : ١٤٥ و ١٤٦
عمر بن محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥
العمري : (ابو عبد الرحمن ...)
عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس : ١٥

ف

الفريسي : ٩٩ و ٦٨
الفرغاني (ابو محمد عبد الله) راوى
الكتاب : ١
الفضل (ابراهيم) : ١٢٤
الفضل بن الربيع : ١٤٥ و ١٤٦
الفضل بن سهل : ٤٨ و ٤٧ و ٤٥
الفضل بن يحيى بن برمك : ١٢٤
فهم : ٣٨ و ٣٧
ابو الفياض : (سوار بن ابي شراة)
فيروز : ٦٨ - ٧٢

ق

القاسم بن شعبة : ١٨ - ٢٠
القاسم بن صيد الله بن وهب : ١١٦ و ١١٧
القبط : ١٠٣
ابن قرا : ١١٨

ك

كبرى : ٩٩ و ٨٣
كبرى (ابراهيم) : ٧٨
الكتندى : ١٣١ و ١٣٠

م

المأمون : ١٤٠ و ١٣٩ و ١٣٨ و ١٣٧ و ١٣٦ و ١٣٥ و ١٣٤ و ١٣٣ و ١٣٢
ماجور : ٨٨ - ٩٠
ماشاء الله بن مرزوق : ٦٥
المبرد : ١٧ و ١٦
المتوكل : ١٣٢ و ١٣١ و ١٣٠ و ١٢٩ و ١٢٨ و ١٢٧ و ١٢٦ و ١٢٥ و ١٢٤ و ١٢٣ و ١٢٢ و ١٢١ و ١٢٠ و ١١٩ و ١١٨ و ١١٧ و ١١٦ و ١١٥ و ١١٤ و ١١٣ و ١١٢ و ١١١ و ١١٠ و ١٠٩ و ١٠٨ و ١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٥ و ١٠٤ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ٩٩ و ٩٨ و ٩٧ و ٩٦ و ٩٥ و ٩٤ و ٩٣ و ٩٢ و ٩١ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٦ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣ و ٨٢ و ٨١ و ٨٠ و ٧٩ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ٧٥ و ٧٤ و ٧٣ و ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١

شقيق الخادم : ٧٤
شيبان بن أحمد بن طولون : ١٢٠
الشير : ١٢

ص

صاعد : ٣٣ و ٣١

ط

الطائي : ٣٣ و ٣٢
أبو طالب (الخليل)
طاهر بن الحسين : ٤٧
ابن طاطبا (محمد بن اسماعيل) : ٩٢
ابن طغان : (أحمد ...)

ع

عبد العباس : ٨٢
أبو العباس (الشافعي) : ٨٢
العباس بن خالد البرمكي : ١١٠ و ١١٣
العباس بن سعيد الجومري : ١٤٢ و ١٤٣
أبو العباس الطرسوسي : ٨٧ و ١٩
عباس بن وليد : ١١٧
أبو عبد الرحمن العمري : ١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٥ و ١٠٤ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ٩٩ و ٩٨ و ٩٧ و ٩٦ و ٩٥ و ٩٤ و ٩٣ و ٩٢ و ٩١ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٦ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣ و ٨٢ و ٨١ و ٨٠ و ٧٩ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ٧٥ و ٧٤ و ٧٣ و ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١
عبد العزيز بن خالد الأموي : ٣
عبد الله الفرغاني (راوى الكتاب) : ١
عبد الله بن القاسم القنوي : ١١٥
عبد الله بن المقفع : ٩٩ و ٦٨
عبد الله بن وهب : ١١٦
أبو عبد الله (كاتب المهدي) : ١١٥

الحكم : ٨٣

عدى بن زيد : ٧٨ و ٧٩
ابن عدى بن زيد : ٧٩ و ٨٠

العرب : ٩٩
ابن أبي هشة (أحمد بن محمد) : ٤٠

حقية : ١١٤

العتيق : ٥٦

علاء بن المنيرة : ٥٣ و ٥٥

أبو علي : ١٣٦

علي المتعالي (الديان)

أبو يعقوب بن واضح : ١٤٤١١١٩ و ٨٣ و ٤٥	يعقوب بن خالد بن برمك : ٤٨ و ٤٦ و ٤٥
أبو يوسف القاضى : ٦٢ - ١١٤ و ٦٤	يعقوب بن الفضل : ١٢٤ و ٣٦ و ٣
يوسف بن إبراهيم (والد المؤلف) - ١٥	يعقوب بن نجم : ٢٦
٦٨ و ٢٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٢٦	يزيد بن معاوية : ٨١
و ١٣٥ و ١٣٦	أبن يعقوب : ٩٤ و ٩٣
يوسف بن عمر . ٣٠	يعقوب : (أبو يوسف القاضى)
	يعقوب بن إسحق بن تميم : ٣٣

صيانة مشغول

هـ

الهند : ١٢٢

و

واسط : ٧٧ و ٣١

ى

اليمن : ٩٣

المحلة : ٣٥

المدينة : ٨١

مدينة السلام : ٣٢ و ١١٠ و ١١٢ و ١٣٥

(بغداد)

حصر : ٥٥ و ١٠ و ١٧ و ١٨ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٠ و ٨٥

و ٨٨ و ٩٣ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٥

المنرب : ٦١ و ٥٥ و ٥٣

مكة : ٣٩ و ٣٨

فهرس الكتاب

صفحة

ترجمة المؤلف ، للأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة المؤلف

دقم

١ — المكافاة على الحسن

- | | |
|----|---|
| ٣ | ١ — حديث خالد القسرى وديوانياته |
| ٥ | ٢ — د ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن |
| ٧ | ٣ — د أحمد بن دعيم وأعرابيان |
| ٩ | ٤ — د موسى بن مصلح ومحبوس |
| ١١ | ٥ — د إسماعيل بن أسباط والخناق |
| | ٦ — د مسلمة بن عبد الملك ومحمد بن علي جد الخفاف |
| ١٥ | العباسيين |
| ١٦ | ٧ — د إسحاق بن نصير العبادى ووراق |
| ١٨ | ٨ — د ابن الزوق النخاس والقاسم بن شعبة |
| ٢٠ | ٩ — د هارون بن ملول وإسحاق بن تميم |
| ٢١ | ١٠ — د المؤلف وأعراب من القيسية |
| ٢٤ | ١١ — د المؤلف وعباسى من ولد المأمون |
| ٢٦ | ١٢ — د يحيى بن نجاد وعمر بن فرج الرخيمى |

رقم	صفحة
١٣	— حديث يوسف بن إبراهيم والد المؤلف ومصطنعيه ٢٨
١٤	— المؤلف وبعض التجار ٢٩
١٥	— أحمد بن بسطام وصاعد ٣١
١٦	— نجاح بن مسلة وإسحاق بن تميم ٣٣
١٧	— محمد بن يزيد ومساير «أحد المتلصصين» ٣٦
١٨	— أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٨
١٩	— أحمد بن أبي عصمة الكاتب وأحمد بن طغان ٤٠
٢٠	— نصراني (من أرياف مصر) ومستر ٤٢
٢١	— يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن سهل ٤٥
٢٢	— على المتطبب وبعض ولد أفلاطون ٤٨
٢٣	— المؤلف وأبو علي محمد بن سليمان ٥٠
٢٤	— المؤلف وسوار بن أبي شراعة الشاعر ٥١
٢٥	— علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٥٢
٢٦	— يوسف بن إبراهيم ورجل من أشراف الطالبيين ٥٦
٢٧	— موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٥٧
٢٨	— تاجر وزوجته ٥٨
٢٩	— هرثمة بن أعين والرشد ٦١
٣٠	— أبي يوسف القاضي والرشد ٦٢
٣١	— أبي يوسف القاضي وبذل جارية الرشد ٦٤
٣٢	— المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٦٦
٦٦	بعض أقوال الفلاسفة في حسن المكافأة
٦٧	خاتمة الباب الأول

٢ - المكافأة على القبيح

- ٣٣ - حديث ملك الهياطة وفيروز ملك الفرس ٦٨
- ٣٤ - محمد بن عبد الملك الزيات والمزوكل العباسي ٧٢
- ٣٥ - ابن سليمان كاتب شقيق الخادم وجلاد ٧٤
- ٣٦ - أبي عبد الرحمن العمري رغبائه ٧٥
- ٣٧ - عامل متسلط وجماعة من الخوارج ٧٦
- ٣٨ - أحد عمال الصدقة ومتظلم ٧٧
- ٣٩ - عدى بن زيد والنعمان بن المنذر ٧٨
- ٤٠ - رجل من أشرف المدينة ورجل من أولياء الأمويين ٨١
- ٤١ - مولى لأبي العباس ورجل زرقاء الأمويين ٨٢
- ٤٢ - أحد الأكاسرة وولده ٨٣
- ٤٣ - خالد بن سهم ومروان بن محمد الجعدي ٨٣
- ٤٤ - أحمد بن طولون وأحمد بن المدبر ٨٥
- ٤٥ - أحمد بن المدبر ومتقبل ٩٠
- ٤٦ - خمارويه بن طولون ومحمد بن أبي الساج ٩١
- ٤٧ - أحد قرابة ابن يعفر وعجوز بمانية ٩٣
- ٤٨ - الخيزران أم الرشيد وامرأة مشاهير عبد الملك ٩٥
- ٤٩ - اليون وميخائيل ملكا الروم ٩٦
- ٥٠ - سيف بن ذي يزن ومتغلب على مملكته ٩٩
- ٥١ - كاتب أبي الوزبر وجماعة من العمال ١٠١

رقم	صفحة
٥٢ —	حديث ابن الأبرد وكاتبه ١٠٢
٥٣ —	عمرو بن العاص ورعية من القبط ١٠٣
٥٤ —	الدفاني والخناق ١٠٤
	خاتمة الباب الثاني ١٠٥

٣ — حسن العقبي

٥٥ —	حديث ابني عمر الأخباري و غلام يتشطر ١٠٧
٥٦ —	رجل أملت حاله وعباس بن خالد البرهكي ١١٠
٥٧ —	أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي ١١٤
٥٨ —	علي بن سند وأبي الجيش ثابت ١١٦
٥٩ —	محمد بن صالح الغوري ولص ١١٧
٦٠ —	مصتملة بن حبيب ومن بن زائدة ١١٩
٦١ —	جيش بن خمارويه وأعمامه ١٢٠
٦٢ —	رجل من تجار مصر وأحمد ملوك الهند ١٢١
٦٣ —	الفضل بن يحيى البرهكي وشاعى ١٢٤
٦٤ —	يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر ١٢٦
٦٥ —	إبراهيم بن العجمي وابن موسى بن شاكر ١٢٨
٦٦ —	محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي ١٣٠
٦٧ —	المرابطين بأقريطش وجيش من الروم ١٣٢
٦٨ —	سهل بن شذيف وأحمد بن بسطام ١٣٤
٦٩ —	المؤانف وأحمد بن بسطام ١٣٥
٧٠ —	قابلة أرلاد خمارويه وأختها ١٣٧

رقم	صفحة
٧١ — حديث سند بن عليّ وابن سعيد الجوهري	١٤٠
٧٢ — جبريل بن بختيشوع والرشد	١٤٤
٧٣ — عمرو بن عثمان الكاتب والرشد	١٤٥
بعض أقوال الفلاسفة في حسن العقبي	١٤٦
خاتمة الباب الثالث	١٤٧
فهرس الأعلام	١٤٩
فهرس الأماكن	١٥٤

